



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم والبحث العلمي  
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

# سيمائية الفضاء الصحراوي في رواية "الملحد"

## - عبد الرشيد هميسي -

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي  
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف:

د. عبد الرحمان بن عمر

إعداد الطالبات:

ابتسام رزيق

شهرزاد حامدي

ناجية خليل

الموسم الجامعي: 1443هـ - 1444هـ / 2022م - 2023م



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم والبحث العلمي  
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

## سيمائية الفضاء الصحراوي في رواية "الملحد"

- لـ عبد الرشيد هميسي -

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي  
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:  
د. عبد الرحمان بن عمر

إعداد الطالبات:  
ابتسام رزيق  
شهرزاد حامدي  
ناجية خليل

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د نيبيل مزوار	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي	رئيساً
د.عبد الرحمان بن عمر	أستاذ محاضر (ب)	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي	مشرفاً ومقرراً
أ.د كمال بن عمر	أستاذ تعليم عالي	جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1443هـ-1444هـ / 2022م-2023م



## شكر و عرفان:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد أن من الله علينا بإنجاز هذا العمل، فإننا نتوجه إليه سبحانه وتعالى أولا وأخرا بجميع ألوان الحمد والشكر على فضله وكرمه الذي نمرنا به فوفقنا إلى ما نحن فيه راجين منه دوام نعمه وكرمه.

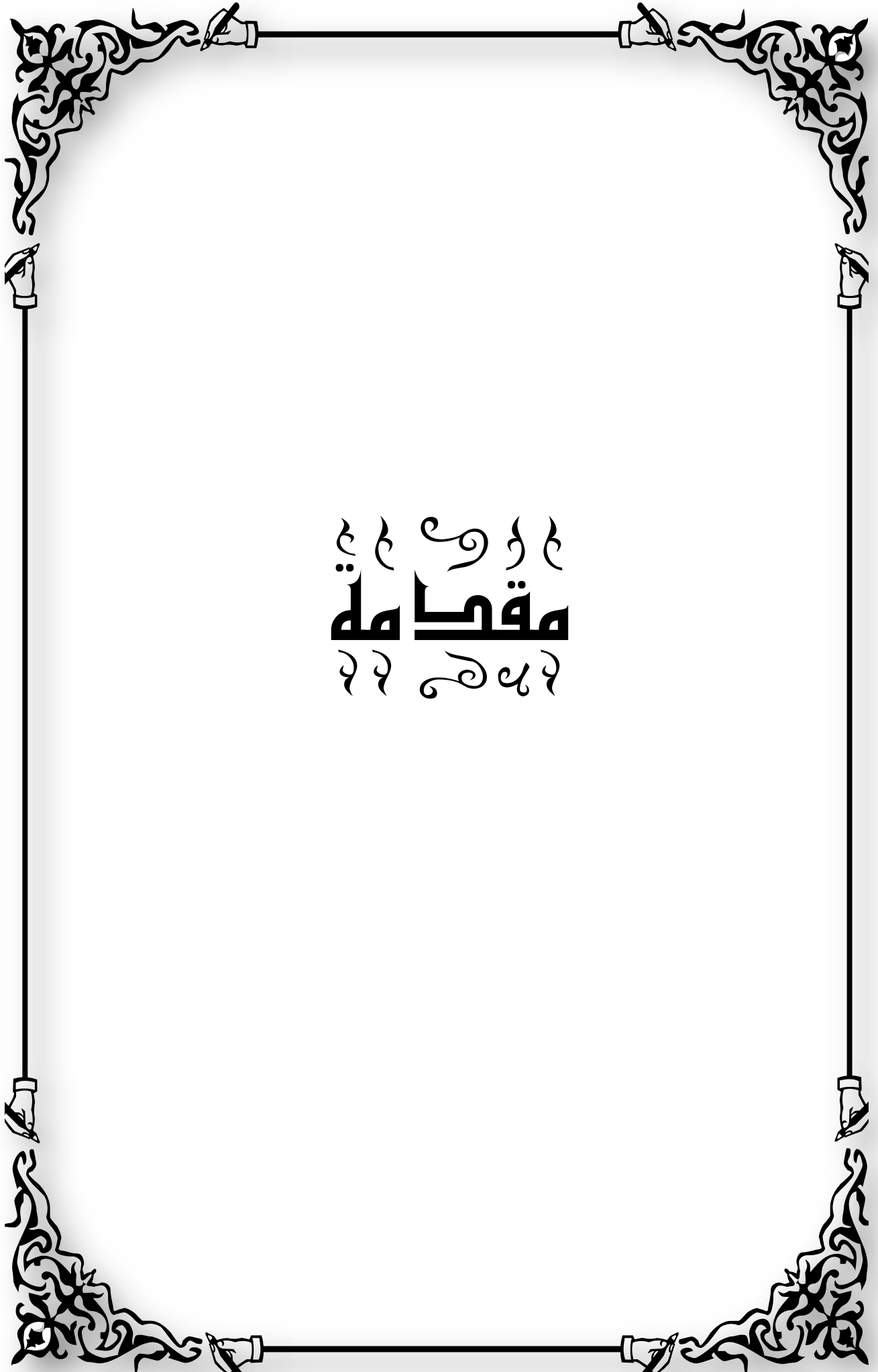
وانطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"، فإننا نتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ المشرف "د. محمد الرحمان بن عمر"، على إشرافه على هذه المذكرة وعلى الجهد الكبير الذي بذله معنا، وعلى نائحه القيمة التي مهدت لنا الطريق لإتمام هذه الدراسة، فله منا فائق التقدير والاحترام.

كما نتوجه في هذا المقام بالشكر الخاص لأساتذتنا الذين رافقونا طيلة مشوارنا الجامعي، وخاصة الأستاذة: "د. محمد الرشيد هميسي"، "د. فوزية تقار"، "د. نوال بومعزة"، "د. علي حميداتو"، "د. صلاح ياسين"، لما قدموه لنا من نواحي وتوجيهات.

وندين بالشكر أيضا إلى عمال كلية الآداب واللغات، خصوصا: "بن موسى محمد الكريو"، "بن عون علي"، "فارس فوزي"، "بوذينة عامر"، "ساعي محمد الرزاق"، "تركعي عمارة"، الذين ساعدونا من خلال تقديم جميع التسهيلات لإنجاز هذا البحث.

وفي الختام نشكر كل من عائلتنا وصدقاتنا وكل من ساعدنا وساهم في هذا العمل سواء من قريب أو بعيد حتى ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة عطرة.

إبتسام شهرزاد نجية



مقامہ  
۲۲ ۲۲

## مقدمة:

تجلى حضور الفضاء الصحراوي في الرواية الجزائرية اليوم بشكل واضح، حيث يعد منبعاً خصباً لتخييل سردي مغاير بسبب تعدد دلالاته الأسطورية والعجائبية، مما يشكل مصدر إلهام للكاتب والروائيين، فوجد الروائي عالماً عجائبيًا زاخرًا بالرموز، متعدد الدلالات كالرهبنة والخراب والخوف...، فكان منبعاً خصباً لتشكيل تخييل سردي مغاير لفضاء المدينة، الذي عُرفت به الرواية منذ نشأتها في الغرب، وقد أثري هذا التوجه السردي بأبعاد أنثروبولوجية ثرية، بإثارته وتنقيبه في سلوكات الإنسان الصحراوي ونبشه في عاداته وتقاليده وأنماط معيشتة، لذا يعتبر الفضاء الصحراوي الجزائري من جوانب الثقافة المهمة التي ساهمت في إثراء الرواية الجزائرية وأدبها، فأضحى هذا الموضوع ظاهرة أدبية في حاجة إلى الدراسة والبحث.

ومن هذا المنطلق اخترنا رواية "الملحد بقي بن يقظان" لتكون محل دراستنا، ولعل أهم ظاهرة لفتت انتباهنا من خلالها هي: الفضاء الصحراوي الموظف في الرواية، ومنه كان عنوان الدراسة على النحو التالي: "سيميائية الفضاء الصحراوي في رواية الملحد لعبد الرشيد هميسي".

ومما دفعنا للخوض في غمار هذا الموضوع جملة من الأسباب نلخصها فيما يلي:

- ✓ ميلنا الذاتي نحو الدراسات السردية.
  - ✓ هذه الرواية حائزة على جائزة راشد للإبداع 2020م، وهي نص بكر لم تستهلكه الدراسات السابقة إلا بضع مقالات لم تنشر بعد.
  - ✓ قلة الدراسات التي تناولت تيمة الصحراء في الرواية الجزائرية.
  - ✓ التعريف بروائينا المحليين ورواياتهم، والمساهمة ولو بالقليل في الترويج للسياحة الصحراوية بالأخص في منطقتنا (وادي سوف).
- هذا الموضوع يجعلنا أمام إشكالية تطرح السؤال التالي: ما هي الأبعاد السيميائية لحضور الفضاء الصحراوي في رواية الملحد؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية العديد من الأسئلة الفرعية:

- ✓ ما مفهوم الفضاء الصحراوي؟ وكيف تم توظيفه في الروايات الجزائرية؟
- ✓ ما هي أهم مكونات الصحراء في الرواية؟ وفيم تمثلت أبعادها السيميائية؟

✓ فيم تجلت دلالات الفضاء الصحراوي داخل الرواية؟

✓ كيف بنى الفضاء الصحراوي علاقته مع بقية المكونات السردية (الشخصية،

الزمن)؟

وللإجابة على هذه التساؤلات المطروحة آنفاً، اتبّعنا الخطة التالية: المكوّنة من مدخل وفصلين، فكان المدخل معنوناً بـ "السيمائية"، تطرقنا فيه إلى "مفهوم السيميائية، وسيميوطيقا بورس وسيميولوجيا دي سوسير"، والفصل الأول جاء معنوناً بـ "الفضاء والصحراء"، تطرقنا فيه إلى "مفهوم الفضاء وأنواعه والتوجهات السيميائية لدراسته" وأيضاً إلى "مفهوم الصحراء، والصحراء في المتخيل السردى الروائى الجزائرى، وأيضاً إلى أهم مكونات عالم الصحراء"، أمّا الفصل الثانى فعنوناه بـ "الأبعاد السيميائية للفضاء الصحراوي"، ركّزنا فيه على: "أنواع الأفضية الصحراوية فى الرواية، ومكونات الفضاء الصحراوي، والأبعاد العامة للصحراء، وكذا الأبعاد الدلالية للفضاء الصحراوي، وأيضاً فضاء التقاطبات الثنائية، وكآخر عنصر تطرقنا له علاقة الفضاء الصحراوي بالأبنية الأخرى (الشخصية، الزمن)"، وكان ذلك كله وفق المنهج السيميائى، وفى آخر المطاف أنهينا عملنا بخاتمة رصدت أهم النتائج التى توصلنا إليها.

أضاعت بعض المراجع سبيلنا، وكانت بمنزلة الأساس الذى بُنيت عليه هذه الدراسة دعائمها، فارتكزنا على: المعاجم التى أفادتنا فى تقديم تعريفات لغوية لبعض المصطلحات المطروحة فى البحث، أمّا جوهر المراجع التى اعتمدنا عليها نذكر منها: (حميد لحميداني: بنية النص السردى)، (حسن بحراوي: بنية الشكل الروائى (الفضاء-الزمن-الشخصية))، (حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية فى الرواية العربية)، (غاستون باشلار: جماليات المكان)، (فيصل الأحمر، معجم السيميائيات)، (عبد الملك مرتاض: فى نظرية الرواية)، كما اعتمدنا على مقالات نذكر منها: (جنات زراد، تجليات الفضاء الصحراوي فى الرواية العربية) و(رشا أحمد محمود، قراءة سيميولوجية فى رواية التبر لإبراهيم الكونى).

ومن الطبيعى أن يعترض أى باحث مبتدئ فى إعداد بحث أكاديمى عراقيل وصعوبات

نذكر منها:

✓ صعوبة التحكم فى كل مسارات الموضوع.

✓ قلة الدراسات العلمية حول الفضاء الصحراوي فى الرواية الجزائرية.

✓ انعدام الدراسات التى تشتغل على الرواية المختارة.

✓ عدم تمكننا من الحصول على بعض المراجع، التي يمكن أن تخدم مذكرتنا بشكل أساسي، مثل: (صلاح صالح: الرواية العربية والصحراء، شاكر النابلسي: مدار الصحراء دراسة في أدب عبد الرحمان منيف، حسين خمري: فضاء المتخيل مقاربات في الرواية)، لأنها غير متاحة إلكترونياً، ولم نجدها ورقياً في نطاق بحثنا.

لكننا -وبعون من الله- أرحنا بعضاً من تلك العثرات، كما جعلنا منها حافزاً ومُشجعاً لبذل جهد أكبر، مما زادنا إصراراً على التحدي والغوص في غمار وأعماق الموضوع. وفي الآخر ولأنه لا ينكر الجميل، ولا يهدر الفضل إلا اللئيم، فإننا واعترافاً بالجميل نتقدم بالشكر المصحوب بالاحترام والتقدير إلى أستاذنا المشرف: "عبد الرحمان بن عمر" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه، وكذلك مرونة التعامل معه وصبره معنا رغم انشغالاته الكثيرة، والمسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقه، حيث أنه كان سنداً لنا منذ أن كان موضوعنا فكرة إلى أن أصبح بحثاً متكاملًا، ولنا الشرف أيضاً أن نتقدم بالشكر للروائي "عبد الرشيد هميسي" لدعمه المتواصل لنا.

نسأل الله النفع والانتفاع بهذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الجمعة 26 ماي 2023

إبتسام شهرزاد هـناجية

الوادي-الديبيلة-قمار

مَطْلَبٌ  
مَطْلَبٌ

السَّيْمِيَّةُ  
مَقَارِبُهُ  
فِي

المَطْلَبِ  
والمَفْلُومِ

تمهيد.

أولاً: مفهوم السيمائية.

1. لغة.

2. اصطلاحاً.

ثانياً: بين السيمولوجيا والسيميوطيقا.

1. سيميوطيقا بورس.

2. سيمولوجيا سوسير.

خلاصة.

**تمهيد:**

اتسعت مباحث السيمائية وشملت معظم جوانب الحياة وتميزت مسيرتها بالتطور، فهي تشكل الأداة المنهجية في تفسير سلوك العلامات، كما صار التحليل السيميائي تصورا نظريا ومنهجيا تطبيقيا في شتى المعارف والدراسات الإنسانية والفكرية والعلمية، وللسيمائية تسميات عديدة، فهناك من يطلق عليها: علم الإشارات، السيميوطيقا، السيميولوجيا، الرمزية....

**أولا: مفهوم السيمائية.**

من المعروف أن علم السيميائيات علم حديث النشأة، وقد تبلور في بداية القرن العشرين، وذلك مع انطلاق اللسانيات الحديثة التي أرست أسسها اللسانيات البنيوية التي قادها العالم اللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير" "Ferdinand de Saussure"، «مع الإشارة إلى أن هناك أفكار متناثرة في التراثين الغربي والعربي على حد سواء، ولأنه علم استمد أصوله من مجموعة من العلوم المعرفية... لهذا السبب تعددت الآراء في تعريفه، وفي تحديد مصطلح دقيق له، سواء في اللغات الغربية أو في اللغة العربية»<sup>1</sup>، على الرغم من أن علم السيمياء لم يكن متاميا بنفس الطريقة التي يتم تدريسها اليوم، مع ذلك فإن وجود آثار ودلائل على وجود علم السيمائية موجودة في التراث العربي والغربي.

**1. لغة:**

جاء في لسان العرب في التعريف المعجمي لمفردة "سيمياء" أنها: «السُّومَةُ والسِّيمَةُ والسِّيمَاءُ، والسِّيمِيَاءُ: العلامة. وَسَوَّمُ الفرسَ: جعل عليه السِّيمَةَ»<sup>2</sup>، وهي العلامة سواء كانت بالخير أو بالشر، وقد ذكر في القرآن الكريم كلمة السِّيمَةَ، وكانت في عدة مواضع فيقول الله تعالى: «سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»<sup>3</sup>، أي العلامة الثورانية التي تظهر في وجه المؤمن، فالله سبحانه وتعالى يميز عباده المؤمنين عن سائر خلقه، فصلاح النفس

<sup>1</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، مطابع الدار العربية للعلوم، ط1، 2010م، ص 11.

<sup>2</sup> ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (مج)12، (د.ط)، (د.ت)،

ص 312.

<sup>3</sup> القرآن الكريم، سورة الفتح، الآية 29.

المؤمنة تترك علامة النور في وجه صاحبها، هذه الآية الكريمة وصفت لنا صحابة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مباركًا، وجاء في موضع آخر في القرآن الكريم قوله تعالى: «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ»<sup>1</sup>، أي علامة التواضع والخشوع التي تترك لدى صاحبها أثرا طيبا له، وقوله عز وجل: «لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ»<sup>2</sup>، قال الزجاج: «رُويَ عن الحسن أنها مُعلِّمة ببياض وحمرة، وقال غيره: مسوِّمة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أنها ممَّا عَذَّبَ اللهُ بها»<sup>3</sup>. فهي المعلمة بعلامة خاصة، أي المميزة بها.

أما الجذر اللغوي لمصطلح السيمياء «يعود إلى العصر اليوناني، فهو آت - كما يؤكد "برنار توسان" من الأصل اليوناني "Sémeion"، الذي يعني "علامة" و"Logos" الذي يعني "خطاب" (...) وياامتداد أكبر كلمة "Logos" تعني العلم، فالسيمولوجيا هي علم العلامات»<sup>4</sup>، وكل هذه المعاني تصب حول قالب واحد ألا وهو أن السيمياء وهي العلامة والرمز.

## 2. اصطلاحا:

تعددت التعاريف الاصطلاحية للسيمائية، إذ نجد العديد من الباحثين الغرب والعرب، شرعوا في البحث المتواصل، لإيجاد مصطلح واحد كافٍ ملم بجميع التعاريف التي سبقت، فقد كان "فرديناند دي سوسير" أول من عرَّج إلى هذا العلم الجديد، قائلاً: «إن اللغة نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار، وإنها لتُفَارَن بهذا مع الكتابة ومع أبجدية الصم والبكم، ومع الشعائر الرمزية، ومع صيغ اللباقة، ومع العلامات العسكرية (...) وإننا لنستطيع أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الاجتماعية، وإنه العلاماتية (...) وإنه سيُعلِّمنا ممَّا تتكون العلامات وأي القوانين تحكمها»<sup>5</sup>، ف"دي

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 273.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية 32-34.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، (مج)12، ص 312.

<sup>4</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 11-12.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 16-17.

سوسير" لم يتوقف فقط على دراسة الأنظمة اللغوية، بل حاول دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، وهنا كان الميلاد الحتمي "للسيمولوجيا".

أما الأمريكي "شارل سندرس بورس" "Charles Sanders Peirce"، فقد أدرج مصطلح آخر للسيمولوجيا وهو مصطلح السيميوطيقا، حيث ربط علم السيمياء بالمنطق، فيقول: «ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسما آخر للسيميوطيقا، والسيميوطيقا نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات»<sup>1</sup>، إذا فالسيميوطيقا يمكن تسميتها بالمنطق الذي يدرس العلامة، وبالتالي فإن مصطلحا السيمولوجيا والسيميوطيقا، أدى إلى تبلور إشكالية المصطلحان في الساحة النقدية، إلا أنهما هما الرئاسان عند الغرب، وهذا التشتت والخلط في الأفكار راجع إلى المرجعية الفكرية والثقافية لكل منهما.

وقد عرّف الباحثون العرب أيضا النظرية السيمائية، فنجد "صلاح فضل" يعرفها قائلاً: «هي العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة»<sup>2</sup>، ويربطها "سعيد علوش" بالثقافة ومظاهرها، فيقول: «هي دراسة لكل مظاهر الثقافة، كما لو كانت أنظمة للعلامة، اعتمادا على افتراض مظاهر الثقافة كأنظمة علامات في الواقع»<sup>3</sup>.

وبالتالي فإن النظرية السيمائية، نظرية واسعة وشاملة، لا يمكن الإلمام بكل جوانبها، وبالرغم من اختلاف النقاد حول مفهوم "السيمولوجيا" و"السيميوطيقا" إلا أن موضوعهما هو دراسة أنظمة العلامات، فالسيميوطيقا تطلق على الأبحاث المتعلقة بالخطابات بما فيها الخطاب الأدبي والسيمايئي وغيرهم، أما السيمولوجيا فهي الجهاز النظري لكل هذه المجالات.

نجد "ابن سينا" يعرف السيمياء، فيقول: «علم السيمياء علم يقصد فيه كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو أيضا أنواع»<sup>4</sup>، ويذكر تلك الأنواع قائلاً: «هي متعلقة بالحركات العجيبة التي يقوم بها الإنسان

<sup>1</sup> فيصل الأحمر، مرجع سابق، ص 17.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 18.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، (ص.ن).

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 31.

وبعضها متعلق بفروع الهندسة، أما البعض الآخر فمتعلق بالشعوذة<sup>1</sup>، وبالتالي هذا ما أشار إليه "ابن سينا" أن "السيمياء" متعلقة بالسحر والشعوذة والتنجيم وما إلى ذلك.

## ثانياً: بين السيمولوجيا والسيميوطيقا.

إن مصطلح "السيمولوجيا" يتطلب فهماً دقيقاً لماهيته، حيث ظهر مصطلحان مختلفان، وهما السيمولوجيا والسيميوطيقا، وذلك لأن الأول فرنسي ظهر مع "دي سوسير" يشير إلى علم العلامات، والثاني إنجليزي ظهر مع الأمريكي "بورس" يشير إلى الاهتمام بالميدان الألسني، وهذا الاختلاف أدى إلى حدوث فوضى كبيرة أدت إلى اختلاف الكثير من الباحثين، وهذا ناتج عن عدم فهم ووعي جيد لكلا المصطلحين.

### 1. سيميوطيقا بورس.

إن رؤية بورس السيميوطيقية تنطلق من فلسفة ترى أنها علماً يتجاوز حدود الإنسان، مكتسباً أفكاراً يمكن بواسطتها الغوص في أعماق كل الظواهر الكونية بطبيعتها المختلفة، سواءً كانت مادية أم ميتافيزيقية أم غيرها، وبالتالي فإن الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بورس" يرى بأن السيميوطيقا هي نظرية عامة للعلامات والأنظمة الدلالية اللسانية وغير اللسانية، فقد جعل من السيمولوجيا وسيلة لتدريس العلامات في إطارها المنطقي، فنجدته يقول: «ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسماً آخر للسيميوطيقا، والسيميوطيقا نظرية نسبية ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات»<sup>2</sup>، ومن ناحية أخرى فإن: «السيمائيات عند بورس يمكن النظر إليها باعتبارها في التأويل، فما يحدد صحة العلامة هو الوجه المؤول داخلها، فالعلامة لا تحيل على موضوع فحسب، إنها بالإضافة إلى ذلك، تكشف عن معرفة جديدة تخص هذا الموضوع»<sup>3</sup>، هنا يرى بورس أن السيمائيات تتعلق بالتفسير والتأويل، ويمكن تحديد صحة العلامة السيمائية بالنظر إلى المعنى الوارد فيها، فالعلامة لا تشير إلى الموضوع فحسب بل تُسلط الضوء على معرفة جديدة تخص هذا الموضوع، لذلك

<sup>1</sup> فيصل الأحمر، مرجع سابق، ص 31.

<sup>2</sup> عيسى بريار، محاضرات في مقياس النقد السيميائي، السنة الثالثة، دراسات نقدية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد البشير الإبراهيمي، برج بوعرييج، 2017م-2018م، ص 12.

<sup>3</sup> سعيد بنكراد، السيمائيات والتأويل مدخل لسيمائيات ش.س. بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص 31.

فإنّ العلامة السيمائية ليست مُجرّد وسيلة لتمثيل الموضوع بل تُستخدَم لفهم أفضل للموضوع الذي تتعلق به.

إذاً فإن "سيميوطيقا بورس" هي الأساس النظري لفهم ودراسة المنطق، والمنطق يستخدم العمليات السيمائية والرمزية في دراسة العلاقات الداخلية للأفراد على المستوى اللغوي والفكري، عموماً فهو يُركّز بشكل أساسي على كيفية استخدام الرموز وتحليلها بدلاً من الاهتمام بالمعاني الفعلية للكلمات.

## 2. سيميولوجيا سوسير.

ظهرت السيمائية في بداية القرن العشرين، بحيث يمكن الإشارة إلى أن: «السيمولوجيا مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنموذج اللساني البنيوي الذي أرسى دعائمه السويسري "فرديناند دي سوسير"<sup>1</sup>. وبالتالي قد أعتبر هذا الأخير أن اللسانيات فرعاً من فروع السيميولوجيا، وأن قوانين السيمياء سارية أيضاً على اللسانيات، ونأتي إلى تفسير السيميولوجيا عند "دي سوسير" فيقول: «اللغة نظام من العلامات التي تعبر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام أو الطقوس الرمزية، أو الصيغ المهذبة أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة (...). ويمكننا أن نتصور علماً موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام وسأطلق عليه علم العلامات»<sup>2</sup>.

وانطلاقاً من هاته المفاهيم ننتقل إلى فكرة أساسية أخرى لـ"دي سوسير" ترى أن: «اللغة لدي عبارة عن مستودع من العلامات والعلامة وحدة أساسية في عملية التواصل بين أفراد مجتمع معين، وتضمّ جانبين أساسيين هما الدال والمدلول»<sup>3</sup>، حيث يجب الإشارة إلى أن: «دي سوسير» وفي مرحلة أولى من أبحاثه، أثناء حديثه عن الدليل اللساني، قال بأنه يجمع بين متصور ذهني وصورة أكوستيكية، وفي مرحلة ثانية تخلى عن هذين المصطلحين اللذين لهما صدى نفسي كبير، وفضل الاحتفاظ بكلمة "دليل" للدلالة على

<sup>1</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 40.

<sup>2</sup> فرديناند ده سوسر، محاضرات في اللسانيات العامة، (تر): يوسف غازي، مجيد النصر، دار العمان للثقافة، لبنان، (د.ط.)، (د.ت.)، ص 27.

<sup>3</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 44.

المجموع، واستبدل المتصور الذهني بالمدلول والصورة الأكوستيكية بالدال<sup>1</sup>، وهنا قد بدأ "دي سوسير" في دراسة الدليل اللساني، حيث وجد صعوبة في إيجاد مصطلحات مناسبة لوصف مكونات هذا الأخير، ففي المرحلة الأولى استخدم مصطلح "المتصور الذهني" و"الصورة الأكوستيكية"، للإشارة إلى الأفكار التي يتم ترميزها في الدليل اللساني، غير أنه قرر التخلي عن هذه المصطلحات في المرحلة الثانية، واستخدم "المدلول" بدلاً من "المتصور الذهني"، و"الدال" بدلاً من "الصورة الأكوستيكية"، وذلك لتجنب الصراعات النفسية المحتملة والمتعلقة بهاذين المصطلحين، لهذا اختار "دي سوسير" مصطلحا "الدال" و"المدلول" في دراسة الدليل اللساني.

عموماً فإنّ السيمولوجيا هي علم يدرس العلامات وأنساقها داخل المجتمع، فهي تعتبر دراسة شاملة لكيفية استخدام اللغة والرموز في التواصل بين الأفراد.

<sup>1</sup> فيصل الأحمر، مرجع سابق، ص 44-45.

**خلاصة:**

من المعروف أنّ التحليل السيميائي جاء بفضل "دي سوسير" و"بورس"، وقد طوّر كلّ منهما هذا العلم، للكشف عن العلاقات والإشارات التي يحتوي عليها هذا النظام من العلامات والرموز، كاللغة وغيرها، بحيث يهدف التحليل السيميائي إلى دراسة الأنشطة الإنسانية المختلفة ومظاهرها الدلالية، سواءً كانت في اللغة أو غيرها من الأنظمة الدلالية المختلفة والتي تستخدم في التواصل، وبالتالي قد استُخدم التحليل السيميائي للتعرف على كيفية عمل هذه الأنظمة الدلالية، بُغية الحصول على فهم أفضل للثقافات المختلفة، لذلك نجد المدارس النقدية تستخدم طرقاً مختلفة لتطبيق التحليل السيميائي من خلال تحليل اللغة أو الدلالة أو غيرها من المجالات.

فانطلاقة "دي سوسير" كانت لغوية لسانية، أي أنه كان يفكر في اللغة واستعمالاتها، أما "بورس" كانت فلسفية منطقية، أي أنه كان يفكر في الأفكار والنظريات وكيفية تمثيلها بالرموز والعلامات. لهذا نجد العلامة عند "دي سوسير" ثنائية المبنى حيث تتكون من "دال" و"مدلول"، والتي تجمع بين الصورة العينية والصورة الذهنية، وفي المقابل نجد أن علامة "بورس" ثلاثية المبنى تتكون من "الممثل" و"الموضوع" و"المؤول"، فهي تربط بين المعاني والأشياء المختلفة.

الفصل الأول  
الفصل الأول

الفصل الثاني  
الفصل الثاني

## تمهيد.

## I. الفضاء.

## أولاً: مفهوم الفضاء.

1. لغة.

2. اصطلاحاً.

## ثانياً: نظرية الفضاء في البناء الروائي.

1. عند النقاد في الغرب.

2. عند النقاد في العرب.

## ثالثاً: أنواع الفضاء.

1. الفضاء النصي

2. الفضاء كمعادل للمكان أو الفضاء الجغرافي.

3. الفضاء الدلالي.

4. الفضاء كمنظور أو كروية.

5. الفضاء الروائي.

## رابعاً: التوجهات السيميائية لدراسة الفضاء.

1. أدلجة الفضاء.

2. الفضاء الغريماسي.

3. تقاطبية الفضاء.

## II. الصحراء.

## أولاً: مفهوم الصحراء.

1. لغة.

2. اصطلاحاً.

## ثانياً: الصحراء في المتخيل السردي الروائي الجزائري.

1. الصحراء في رواية ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.

2. الصحراء في رواية تيميمون لرشيد بوجدر.

## ثالثاً: أهم مكونات عالم الصحراء.

1. عالم الإنسان.

2. عالم النبات.

3. عالم الحيوان.

خلاصة.

**تمهيد:**

يمثل الفضاء الصحراوي البديل المخلص الذي أراح الروائيين العرب من عناء اختيار المكان الروائي، الذي يحمل ملامح عربية خالصة ويمتلك خصوصية الهوية حيث وجدوا فيه مركز إلهام لأفكارهم وتوجهاتهم، كما أن الروايات التي اتخذت فضاء الصحراء موضوعاً لها قد أحرزت تقدماً فنياً كبيراً وحققَت نجاحاً باهراً.

**1. الفضاء.**

إن الفضاء باعتباره عنصر فعال في بناء أحداث الرواية والمساهمة في نموها وتربطها جعل العديد من النقاد والباحثين يولّونه اهتماماتهم، وقد لاقى مكانة كبيرة في الدراسات القديمة والحديثة، إلا أن وجهات النظر تختلف من ناقد لآخر في مفهومه.

**أولاً: مفهوم الفضاء.****1. لغة:**

جاء في "معجم العين" في باب الضاد والفاء و(و أ ي ء) مادة (فضو) «الفضاء: المكان الواسع، والنعل فضاءً يفضو فضاءً وهو فاض، أي واسع، وقال رؤبة: أفرخ قيص بيضها المنقاض... عنكم كراماً بالمكان الفاضي»<sup>1</sup>.

كما ورد في "مختار الصحاح" بنفس المعنى في باب الفاء مادة (ف ض ا) «الفضاء: الساحة وما اتسع من الأرض. وقد أفضى) خرج إلى الفضاء. وأفضى إليه بسرّه. وأفضى بيده إلى الأرض مسّها بباطن راحته في سجدّه»<sup>2</sup>.

ونجد في "المعجم الوسيط"، باب الفاء مادة (فضا): «المكان فضاء وفضوا اتسع وخلا والشجر بالمكان فضوا كثر وفلان دراهمه لم يجعلهما في صره»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، (تح): مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (ج)7، (د.ط)، (د.ت)، ص 63.

<sup>2</sup> محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية دار النموذجية، بيروت، صيدا، 5ط، 1999م، ص 241.

<sup>3</sup> إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، ص 693.

وما نلاحظه من خلال الثلاث تعريفات اللغوية أن جميعها تحوم في المعنى نفسه الذي يوحي بالاتساع والانتشار والامتداد.

## 2. اصطلاحاً:

يعتبر مصطلح الفضاء الأدبي مصطلحاً معقداً وغير محدد نظراً لعدم ركون وضبط النقاد للمصطلح، حيث وُضعت عدة تسميات منها المكان والحيز.

وهناك عدة تعريفات اصطلاحية تناولت الفضاء بالبحث والتنظير منها قول "جوليا كرستييفا" Julia kristeva: «ينبغي للفضاء الروائي أن يدرس دائماً في تناصيته، أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما أو حقبة تاريخية محددة»<sup>1</sup>، أي أن من الضروري للكاتب أن يدرس بشكل مستمر كتابات العصر الذي يعيش فيه والفترات التاريخية السابقة، وأن يحدد العلاقة التي تربط نصه بتلك النصوص والفترات، وما الذي تفرد به نصه عن باقي النصوص، لكي يتمكن من صياغة رؤية فنية ثقافية متكاملة داخل الرواية.

ويعرف "يوري لوتمان" Youri Lotman الفضاء فيقول: «الفضاء هو مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والصور والدلالات المتغيرة... فمفاهيم مثل: الأعلى/الأسفل، القريب/البعيد، المنفتح/المنغلق، المحدود/اللامحدود، المنقطع/المتصل، كلها تصبح أدوات لبناء النماذج الثقافية دون أن تظهر عليها أي صفة مكانية، ويرى "لوتمان" أن النماذج الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية في عمومها تتضمن نسبا متفاوتة وصفات مكانية تارة على شكل تقابل السماء/الأرض وتارة على نوع من التراتبية السياسية والاجتماعية»<sup>2</sup>.

إذا فـ "لوتمان" يرى أن الفضاء عنصر مؤثر في الرواية وذلك لدراسته للمفاهيم الأعلى/الأسفل، القريب/البعيد... الخ، معتبراً أنها علاقات التقاطبات المكانية.

<sup>1</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991م، ص 54.

<sup>2</sup> حسن بحراري، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص 34.

ونظر "فيصل الأحمر" للفضاء نظرة شمولية حين قال: «ويتسع مفهوم الفضاء ليشمل البيئة الطبيعية والصناعية، بمختلف أنماطها ووظائفها، والشوارع وكل الأماكن التي تعيش فيها الشخصيات الروائية، كما يشمل الوقت من اليوم، وما يترتب عليه من أضواء أو ظلمة أو الطقس بكل أحواله والأصوات والروائح»<sup>1</sup>.

وما نستنتجه من هذا الكلام أن الفضاء واسع جدا إذ تدخل من ضمنه البيئة والشوارع والوقت والطقس، أي لا يقف الفضاء على مكان معين.

وفي نفس المعنى يقول "حسن نجمي": «أن الفضاء موجود على امتداد الخط السردى إنه لا يغيب مطلقا حتى ولو كانت الرواية بلا أمكنة الفضاء حاضر في اللغة، في التركيب، في حركية الشخصيات وفي الإيقاع الجمالي لبنية النص الروائي»<sup>2</sup>.

أي أن الفضاء موجود في كل عناصر السرد لا يختفي أبدا، هو حاضر بقوة ولا مجال للاستغناء عنه.

ويعرف "حسن نجمي" الفضاء في موضع آخر فيقول: «الفضاء الروائي... هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية، ولكل كتابة أدبية»<sup>3</sup>، ويقول أيضا: «الفضاء هو إحدى العلامات المميزة للكتابة الروائية الجديدة، أية كتابة روائية تريد لنفسها أن تكون جديدة»<sup>4</sup>، فالفضاء هو العمود الفقري للرواية وللكتابة الأدبية بشكل عام.

وسار أيضا الدكتور "حميد لحميداني" في نفس هذا الاتجاه حيث قال: «إن الفضاء في الرواية هو أوسع، وأشمل من المكان، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكى سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة، وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكاية»<sup>5</sup>، أي أن الفضاء لا يقتصر

<sup>1</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 66.

<sup>2</sup> حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2000م، ص 65.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 59.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 60.

<sup>5</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، ص 64.

على المكان بل بمعنى أوسع منه، فهو كل الأمكنة الموجودة في الرواية التي ندركها بطريقة مباشرة أو التي نستنتجها ضمناً مع مرور الأحداث.

من خلال جهود الباحثين والنقاد لعنصر الفضاء نتوصل إلى نتيجة مفادها أن الفضاء يكتسب أهمية كبيرة داخل العمل الروائي مما يجعلنا لا نستطيع الاستغناء عنه فهو المسير للأحداث والشخصيات.

### ثانياً: نظرية الفضاء في البناء الروائي.

لقد شغل مصطلح الفضاء نقاد الغرب والعرب في الآونة الأخيرة نظراً لأهميته كعنصر أساسي من عناصر البناء الروائي، إذ بدونها لا يمكن لنسيج السرد أن يستوي أو يستقيم في ظل عرض الأحداث وبسطها، كما أن للفضاء أبعاده الدلالية المختلفة، وهذا ما دفع إلى ظهور دراسات كثيرة جعلت منه محورا هاما للدراسة والتحليل.

#### 1. عند النقاد في الغرب:

إن أول المنشورات التي ظهر فيها مصطلح "الفضاء" «كعنصر من عناصر السرد الروائي أعمال غاستون باشلار ونظريته في النقد الظاهراتي عام 1938م، في كتابه "التحليل النفسي للنار" وأتبعه بكتبه الأخرى، ومنها كتاب "شعرية الفضاء" 1957م، الذي ترجمه غالب هلسا عن الإنجليزية عام 1980م، بعنوان "جماليات المكان"<sup>1</sup>. هذا الأخير الذي «قام فيه بعرض مجموعة من الأمكنة المحورية المرتبطة ارتباطاً حميمياً بالإنسان، اجتماعياً وسيكولوجياً والتي تحتاج لرؤية السارد أو الشخصيات سواء في أماكن إقامتهم، كالبيت والغرف المغلقة، أو في الأماكن المنفتحة الخفية أو الظاهرة، المركزية أو الهامشية، وغيرها من التعارضات التي تعمل كمسار يتضح فيه تخيل الكاتب والقارئ معا»<sup>2</sup>. فباشلار ربط مفهوم الفضاء بالجانب النفسي للإنسان.

<sup>1</sup> أبو هيف، عبد الله، جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، (مج1)، (عد1)، 2005م، ص 125.

<sup>2</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالباً هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص 38.

ومن أهم الدراسات التي اعتنت بالفضاء وكشفت عن دلالاته الدراسية التي قام بها يوري لوتمان في كتابه "بنية النص السردي" عام 1973م، «حيث شكل هذا الكتاب مصدرا في تكوين مفهوم التقاطب عند حسن بحراري، فكان من الأنظمة التي اعتمدها الباحثون في دراسة الفضاء، إذ تعرض البحراري في كتابه بنية الشكل الروائي إلى أهم الدراسات التي عنيت بالفضاء أمثال دراسات جورج بوليه، الذي درس الفضاء الروائي ذاته دون تحليل الروابط التي تجمع بينه وبين الأنساق الأخرى، ثم تلتها دراسات رولان بورتوف في العالم الروائي، حيث تدارك ثغرة صاحبه ودرس الفضاء في علاقته بالحدث والشخصيات والزمن»<sup>1</sup>.

ومن الباحثين أيضا الذين أظهروا اهتمامهم بهذا المكون الناقدة جوليا كرسيفا التي ترتب ضمن الأوائل الذين نظروا للفضاء، إذ تطرقت لفضاء الرواية في كتابها "نص الرواية"، «وفضاء الرواية في نظرها في فضاء الرؤية، إن الفضاء هنا يستحيل إلى ما يشبه الخطة العامة للراوي، أو الكاتب في إدارة الحوار، أو بواسطة الأبطال، حتى أن كرسيفا تشبه الرواية في هذه الحالة بالواجهة المسرحية»<sup>2</sup>.

ومما سبق ذكره فإن وجهات النظر للفضاء تختلف من ناقد لآخر، حيث نجد أن باشلار ركز على الأثر النفسي الذي خلفه المكان في الشخصية، في حين لوتمان قد طرح مسألة التقاطبات الضدية، أما كرسيفا حصرته في رؤية الروائي.

## 2. عند النقاد في العرب:

أما عند العرب فلم يصلنا مصطلح الفضاء إلا مؤخرا «وهو المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب المعاصرين: جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر، بحيث لا نعتقد أننا نصادفه في الكتابات العربية التي كتبت منذ ثلاثين عاما، وقد جاء استعماله نتيجة لآلاف المصطلحات الجديدة التي دخلت اللغة العربية عن طريق الترجمة من اللغات الغربية»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان، ص38.

<sup>2</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 62.

<sup>3</sup> عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1998م، ص 122.

وأول من أدخل مصطلح الفضاء إلى المعجم العربي هو الباحث المغربي "سعيد علوش" في معجمه "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة"، وفي ما يلي أهم ما قال عن الفضاء في معجمه:<sup>1</sup>

- يستعمل مصطلح الفضاء، في السيميائية، كموضوع تام، يشمل على عناصر غير مستمرة، انطلاقاً من انتشارها، لهذا جاءت معالجة تكوّن موضوع الفضاء، من الوجهة الجغرافية /السيكو-فيزيولوجية/ السوسيو-ثقافية.
- ويفترض الفضاء، اعتبار كل الحواس، في سيميائية الاهتمام بالفاعل، كمنتج ومستهلك للفضاء.
- ويقابل موضوع الفضاء، جزئياً، سيميائية العالم الطبيعي لأن اكتشاف الفضاء، هو تكون مباشر، لهذه السيميائية.
- وتبحث سيميائية الفضاء عن التحولات، التي تعانيها السيميائية الطبيعية، بفضل تدخل الإنسان، في إنتاج علاقات جديدة.
- بالإضافة إلى مفهوم الفضائية والتحديد الفضائي تستعمل السيميائية السردية والخطابية الفضاء الإدراكي.

ولم يتفق جميع النقاد على مصطلح الفضاء فهذا "عبد الملك مرتاض" ارتأى أن يختار مصطلح الحيز بدل الفضاء، يقول في هذا الصدد: «مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل، قاصر بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون مغناه جارياً في الخواء والفرغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء، والوزن، والثقل، والحجم، والشكل... على حين أن المكان نريد أن نقفه، في العمل الروائي، على مفهوم الحيز الجغرافي وحده»<sup>2</sup>، فمرتاض جعل من كل شيء متحركاً ومستمرًا حيزاً، فعندما ننتقل من مكان إلى آخر هذا يعني أننا ننتقل من حيز إلى آخر.

أما الناقد "حسن بحراوي" فاختر مصطلح الفضاء في كتابه "بنية الشكل الروائي" ويقول في ذلك: «إن الفضاء في الرواية ليس في العمق، سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي

<sup>1</sup> سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص 164.

<sup>2</sup> عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 121.

يستلزمها الحدث، أي الشخص الذي يحكي القصة والشخصيات المشاركة فيها»<sup>1</sup>، فالفضاء تخلقه الأحداث والشخصيات لتنتج بينهم روابط تكون همزة وصل بينهم.

وكذلك "حميد لحميداني" أثر مصطلح الفضاء بدل المكان والحيز، يقول: «إن مجموع هذه الأمكنة، هو ما يبدو منطقياً أن نطلق عليه اسم: فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان. والمكان بهذا المعنى هو مكون الفضاء. وما دامت الأمكنة في الروايات غالباً ما تكون متعددة، ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعاً إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل، أو الشوارع، أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكاناً محدداً، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها، فإنها جميعاً تشكل فضاء الرواية»<sup>2</sup>.

فهو يقصد أن كلا من (المقهى أو المنزل أو الشارع) يسمى مكاناً، لكن إذا احتوت الرواية على جميع هذه الأماكن يطلق عليها فضاء الرواية، إذا فالفضاء هو مجموع الأمكنة. هكذا كانت آراء بعض النقاد العرب في مصطلح الفضاء، فهو من المصطلحات التي كثر حولها الاختلاف والنقاش.

### ثالثاً: أنواع الفضاء.

إن الاجتهادات التي قام بها النقاد والباحثون حول موضوع الفضاء أنتجت لنا أنواعاً مختلفة منه نذكر منها:

#### 1. الفضاء النصي:

لقي هذا النوع من الفضاء اهتماماً كبيراً، ويعتبر نوعاً من العلامات السيميائية يلتقط من خلالها المتلقي الإيديولوجيا الخفية في النص و«يقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها - باعتبارها أحرفاً طباعية - على مساحة الورق. ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف، ووضع المطالع، وتنظيم الفصول، وتغيرات الكتابة المطبعية وتشكيل العناوين، وغيرها»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 31.

<sup>2</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 55.

أي أن الفضاء النصي يهتم بالسطحيات فيقوم بتحليل كل من غلاف الرواية وما يوحي به، وما علاقته بالرواية، وكذلك يفسر المطالع وفصول الرواية، و«هو أيضا فضاء مكاني، لأنه لا يتشكل إلا عبر المساحة، مساحة الكتاب وأبعاده، غير أنه مكان محدود ولا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال، فهو مكان تتحرك فيه -على الأصح عين القارئ-، هو إذا بكل بساطة فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة»<sup>1</sup>، فالفضاء النصي هو فضاء مكاني ولكنه يخص القارئ ولا علاقة له بالشخصيات وبذلك يكون فضاء الكتابة.

ومنه نقول أن الفضاء النصي يعتمد على القارئ ومدى إتقانه لقراءة العتبات النصية من عنوان الرواية وغلافها والمقدمة وعناوين الفصول... الخ، فإن أتقن ذلك وضع قدمه في الطريق السليمة لفهم العمل الإبداعي واستجلاء كوامنه.

## 2. الفضاء كمعادل للمكان أو الفضاء الجغرافي:

هو فضاء مكاني، لا يتجاوز وصف الأمكنة التي تتحرك فيها الشخصيات، يقول عنه الباحث والناقد "محمد عزام" «هو الحيز الذي يتحرك فيه الأبطال»<sup>2</sup>، الفضاء الجغرافي عند محمد عزام كل مكان حقيقي وقد ضرب في ذلك أمثلة في كتابه شعرية الخطاب السردية وهي: أماكن الانتقال العامة (القرى والمدن والجبال والسهول)، وأماكن الإقامة الاختيارية (فضاء البيوت)، وأماكن الإقامة الجبرية (فضاء السجون والزنازين).

ويعرفه "حميد لحميداني" «هو معادل لمفهوم المكان في الرواية. ولا يقصد به بالطبع المكان الذي تشغله الأحرف الطباعية التي كتبت بها الرواية، ولكن ذلك المكان الذي تصوره قصتها المتخيلة»<sup>3</sup>، فالفضاء الجغرافي عند حميد لحميداني هو فضاء لا يخص الكتابة بل يخص المكان الذي يتحرك فيه الأبطال وقد ذكر في كتابه "بنية النص السردية" أن «هناك من يعتقد أن الفضاء الجغرافي في الرواية يمكن أن يدرس في استقلال كامل عن المضمون»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> حميد لحميداني، مرجع سابق، ص 56.

<sup>2</sup> محمد عزام، شعرية الخطاب السردية دراسة، ص 75.

<sup>3</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ص 53.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 54.

غير أن "جوليا كريستيفا" عند حديثها عن الفضاء الجغرافي «لم تجعله أبدا منفصلا عن دلالاته الحضارية، فهو إذ يشكل من خلال العالم القصصي يحمل معه جميع الدلالات الملازمة له، والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم»<sup>1</sup>، فالفضاء الجغرافي مرتبط بالمضمون غير مستقل عنه.

ومنه نخلص إلى أن الفضاء الجغرافي متواجد وبقوة في العمل الروائي، حيث يعتبر عنصرا مهما في بناء النص السردي، وبفضله تتحرك الشخصيات وتؤدي أحداثها وتتبدى لنا ملامحها وأبعادها المختلفة.

### 3. الفضاء الدلالي:

الفضاء الدلالي هو الفضاء المرتبط بالمجازات والإيحاءات كما أكد ذلك الكثير من النقاد منهم "محمد الماكري" ويسميه بالفضاء السوري حيث يقول: «الفضاء السوري معطى للرؤية، والتأمل المتأني يكون مقروءا ما لا يوقف حركة العين»<sup>2</sup>، ويقول أيضا: «إن الفضاء السوري يقتضي من المتلقي جهدا تأويليا مزدوج»<sup>3</sup>، أي أن الفضاء السوري يتطلب من القارئ لإدراكه وتأويله، جهدا كبيرا من الوقوف عنده لاحتوائه على رموز وإيحاءات كثيرة.

ومن النقاد الذين يسمون الفضاء الدلالي بالفضاء التصوري نجد "جيرار جينيت" "Gérard Genette" إذ يقول: «إن الصورة، هي في الوقت نفسه الشكل الذي يتخذه الفضاء، وهي الشيء الذي تهب اللغة نفسها له، بل إنها رمز فضائية اللغة الأدبية في علاقتها مع المعنى»<sup>4</sup>، إن الفضاء الدلالي عند جيرار جينيت متعلق بالصورة الفنية وعلاقتها باللغة.

<sup>1</sup> حميد لحميداني، مرجع سابق، ص 54.

<sup>2</sup> محمد الماكري، الشكل والخطاب-مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991م، ص 242.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 249.

<sup>4</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 61.

ويرى "حميد لحميداني" أن الفضاء الدلالي: «يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام»<sup>1</sup>، فالفضاء الدلالي يقتصر على المعاني والدلالات التي يسعى المتلقي إلى فهمها.

ومنه نقول أن الفضاء الدلالي يتطلب من المتلقي تأويلات حتى يستطيع فك شيفرات النص وهو امتزاج بين المدلول السطحي والمدلول الضمني.

#### 4. الفضاء كمنظور أو كرؤية:

هو ذلك الفضاء الذي يبين لنا الرؤية التي من خلالها يسود الكاتب على عالمه الروائي، ويرى "حميد لحميداني" أن الفضاء كمنظور «يشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح»<sup>2</sup>، فالكاتب هو المتحكم في عالمه الروائي يحرك الشخصيات كما يشاء، وكأننا أمام خشبة مسرح تؤدي كل شخصية دورها كما يريد لها المخرج.

وترى "جوليا كريستيفا" أن «هذا الفضاء محول إلى كل، إنه واحد، وواحد فقط، مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف بكامله متجمعا في نقطة واحدة، وكل الخطوط تتجمع في العمق حيث يقبع الكاتب، وهذه الخطوط هي الأبطال الفاعلون الذين تُسجُ الملفات بواسطة المشهد الروائي»<sup>3</sup>، فالكاتب له السلطة على فضاء الرواية بما في ذلك الشخصيات وأماكنها وتحركاتها.

ويعرف "محمد عزام" الفضاء كمنظور أو كرؤية بقوله: «هو الطريقة التي يستطيع بواسطتها الراوي أو الكاتب السيطرة على عمله السردي، وعلى أبطاله الذين يحركهم»<sup>4</sup>، فالكاتب يستحوذ على عمله السردي بتحريك الشخصيات داخل الرواية.

<sup>1</sup> حميد لحميداني، مرجع سابق، ص 62.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 62.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، (ص.ن).

<sup>4</sup> محمد عزام، محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر،

سورية، ط1، 1996م، ص 113.

ومنه نقول أن الفضاء كمنظور أو كرؤية ينسب إلى زاوية النظر لأنه يعتمد على وجهة نظر الكاتب.

## 5. الفضاء الروائي:

الفضاء الروائي هو فضاء ناتج عن الأحداث التي تقوم بها الشخصيات داخل الرواية «هو فضاء لفظي، إنه يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير عنها، ولما كانت اللغة عاجزة عن تشييد فضاءها الخاص بسبب طابعها المحدود، فإن الراوي يدعو إلى تقوية سرده بوضع طائفة من علامات الوقف داخل النص المطبوع»<sup>1</sup>، «وهكذا فإن (الفضاء الروائي) يتكون من التقاء فضاء الألفاظ بفضاء الرموز الطباعية، وهو المظهر التخيلي أو الحكائي، ويرتبط بزمان القصة، وبالحدث الروائي، وبالشخصيات التخيلية: فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له، وليس هناك أي مكان محدد مسبقاً، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال»<sup>2</sup>، أي أنه فضاء ناتج عن الأحداث التي تخلقها حركة الشخصيات، ويتضمن مشاعرها وأحوالها.

ومنه نقول أن الفضاء الروائي هو فضاء لغوي بامتياز يكون من خلال اللغة، يلجأ إليه الراوي لتشييد عمله السردي وتقويته بوضع العديد من علامات الوقف.

## رابعاً: التوجهات السيميائية لدراسة الفضاء.

### 1. أدلجة الفضاء:

تُعتبر "جوليا كريستيفا" من أبرز الدعاة للمنهج السيميائي في التحليل الأدبي، والتي اعتبرت النص بنية دالة منتجة في مجتمع وعصر معينين، «ومن هنا كان عنصر تركيزها على (السيميولوجيا) كعلم جديد يتعامل مع النص، واهتمامها (بالتناص) كوظيفة إيديولوجية تتمظهر مادياً على مختلف مستويات بنية النص، ودراستها للبنية السوسولوجية للنص، وربطها بإيديولوجية العصر الذي أنتجها»<sup>3</sup>، فهي ذات توجه إيديولوجي «انطلاقاً من أن النص الأدبي يقدم رؤية إيديولوجية أو تصور يعكس وعي فئة

<sup>1</sup> فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ص 129.

<sup>2</sup> محمد عزام، شعرية الخطاب السردي دراسة، ص 74.

<sup>3</sup> محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، ص 18.

من الناس وفق مستواها الثقافي ونظرتها إلى العالم ومختلف القضايا، فتتخذ موقفا معينا اتجاه ذلك مرتبطة بالعصر الذي تعيش فيه، وسياقات مختلفة (حضارية تاريخية سياسية ثقافية)»<sup>1</sup>.

فهي تدعو إلى عدم إقصاء الجانب الحضاري والاجتماعي المصاحب للدلالات في أي نص من النصوص، وهذا يعطي بعدا دلاليا هاما للفضاء الجغرافي، بمعنى أن الفضاء الروائي يبينه تاريخ التجربة الأدبية والذاتية للكاتب والقارئ على حد سواء، وبالتالي يستحيل أن يتجرد نص إبداعي ما من أصوله الإيديولوجية، ولا يمكن له أن يتنكر للسياقات التي ساهمت في تكوينه.

## 2. الفضاء الغريماسي:

ويسمى أيضا بالفضاء الطوبويقي **Topique**، «والمعرف كتحول متموضع بين حالتين سرديتين ثابتتين، يمكن أن نعتبره المكان الذي يتمظهر فيه تركيبا هذا التحول، ويميز التمثيل الفرعي للفضاء الطوبويقي الفضاء الإيطوبويقي (الهنا: أين تتم الأداءات) عن الفضاء البواطوبويقي (الهالك: وهو مخصص لامتلاك الكفاءات)»<sup>2</sup>.

ويقطع "غريماس" "Greimas" الفضاء «ذهنيا من خلال استنباطاته لأعمال بروب إلى قسمين هامين: فضاء الفعل، الفضاء الخارجي. وينقسم فضاء الفعل بدوره إلى الفضاء الجانبي (يجري فيه الاختبار المؤهل)، الفضاء الوهمي (يجري فيه الاختبار الرئيسي وعادة ما يكون غير محدد وغامضا). والمقصود بالفضاء الخارجي فضاء لا تجري فيه الأحداث الرئيسية، وإعادة ما يكون عبارة عن المواطن الذي ينطلق منه البطل ويعود إليه في النهاية»<sup>3</sup>، أي أن غريماس قد ميز بين فضائين فضاء الفعل (المنقسم بدوره

<sup>1</sup> سعدية بن ستيبي، فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية الأمير ل: "واسيني الأعرج" -دراسة سيميائية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم، جامعة سطيف2، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص أدب حديث، 2012م/2013م، ص 78.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي-إنجليزي-فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، (د.ط)، 2000م، ص 240.

<sup>3</sup> محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط)، 1991م، ص

إلى الفضاء الجانبي والفضاء الوهمي) وهو الفضاء الذي تجري فيه الأحداث الرئيسية، بالإضافة إلى الفضاء الخارجي وهو الفضاء الذي لا تجري فيه الأحداث الرئيسية ولا يصور معالمه وحيزه بشكل واضح في الرواية.

ويعتمد الفضاء الطوبولوجي عند "غريماس" على «تجسيد مجموعة من العلاقات المتقابلة، والتي تسمح في الأخير بتحقيق رغبة معينة لدى الفاعل (الذات) أو تحول دون تحقيقها، يعني أن الفاعل أو العامل يحتل موقعا معينا يؤدي من خلاله دورا معينا، هذا الدور قد يندرج ضمن الثنائيات المعروفة في السيميائيات وهي (المرسل/المرسل إليه)، أو (المعارض/المساعد) أو (الفاعل/ الموضوع)»<sup>1</sup>، فالفضاء عند غريماس يتجسد من خلال العلاقات التي نستنتجها من النموذج العملي.

### 3. تقاطبية الفضاء:

لم يكن مصطلح التقاطبية متداولاً قبل دراسة "يوري لوتمان" للمكان، فقد كان هذا الأخير يُحلل من جانب علاقته بالعناصر السردية الأخرى، وأعتبر في منظور الدارسين كمكمل لتلك العناصر، وأعتبر "غاستون باشلار" "Gaston Bachelard" أول من أفرد المكان في بحثه، حين خصص له كتاباً كاملاً تحت عنوان "جماليات المكان"، «إذا كان باشلار قد درس جدلية الداخل والخارج، وعارض بين القبو/والعلية، وبين البيت/ واللابيت، فإن لوتمان أقام نظرية متكاملة للتقاطبات، منطلقاً من فرضية أن الفضاء هو مجموعة من الأشياء المتجانسة، التي تقوم بينها علاقات شبيهة بتلك العلاقات المكانية المعتادة، ولغة العلاقات المكانية تصبح من الوسائل الأساسية للتعرف على الواقع، فمفاهيم مثل الأعلى والأسفل، والقريب والبعيد، والمنفتح والمنغلق، والمتصل/والمنفصل... كلها تصبح أدوات لبناء النماذج الثقافية دون أن تظهر عليها أية صفة مكانية»<sup>2</sup>.

استمد "لوتمان" مفاهيم نظريته من العلاقات المكانية المألوفة مثل العلو، والانخفاض، وغيرها، وقد انطلق في ارسائها من «مقولة أساسية مؤداها أن اللغة هي النظام الأولي

<sup>1</sup> سعديّة بن ستيّني، فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية الأمير ل: «واسيني الأعرج» -دراسة سيميائية، ص 86.

<sup>2</sup> محمد عزام، شعرية الخطاب السردية دراسة، ص 69.

لتحويل العالم إلى أنساق، وكما أسلفنا، فإن اللغة ليست قائمة من التسميات، ولكنها مجموعة من العلاقات الخاضعة لقواعد وقوانين<sup>1</sup>، فالعلاقات المكانية، أو المكان، باعتباره مجموعة أشياء متجانسة، تمنح لها اللغة وجودها في العمل الإبداعي.

وقد لاقت هذه النظرية قبول الدارسين والنقاد، ومن بينهم "حسن بحراوي" الذي اتخذها كمنهج للدراسة والتحليل، وعرفها على أنها: «الأداة الرئيسية للبحث في تشكيلات المكان والتنويعات التي يتخذها والكشف عن العلاقات التي تؤلف عناصره»<sup>2</sup>، وتقوم على أساس ثنائيات ضدية، تحمل في طياتها إحياءات ودلالاته ووظائف متعددة وتعتبر «لغة العلاقات المكانية وسيلة من الوسائل لوصف الواقع، و ينطبق هذا حتى على مستوى ما بعد النص، فإذا نظرنا إلى مفاهيم مثل: (أعلى - أسفل)، أو (يسار - يمين)، أو (قريب - بعيد)، أو (محدود - غير محدود)، أو (مجزأ - متصل) نجد أنها (أي مفاهيم) تستخدم لبنات في بناء نماذج ثقافية لا تنطوي على محتوى مكاني، فتكتسب هذه المفاهيم معاني جديدة مثل: (قيم - غير قيم)، أو (حسن - سيئ)، أو (الأقربون - الأغرب)، أو (سهل المنال - صعب المنال)، أو (فان - أبدي) ... الخ»<sup>3</sup>، فالعلاقات المكانية تتحول إلى أنساق في العمل السردي، وهذه الأنساق تكون إما ثقافية أو اجتماعية...، كما أنها تحمل دلالات متعددة، فمفاهيم مثل (أعلى، وأسفل) تكسب دلالة جديدة هي (قيم، وغير قيم)، و(يسار، ويمين) تدل على (حسن، وسيئ)، و(قريب، وبعيد) تحيل إلى (الأقارب، والأغرب)، وعلى هذا الأساس تقوم نظرية التقاطبات بتحليل المكان، إذ تعتمد العلاقات المكانية للوصول إلى دلالاتها.

ونجد أيضا "جان فيسجر" "Jeans Weisgerber" الذي تطرق إلى تقاطبية الفضاء في كتابه "الفضاء الروائي"، حيث ميز فيه «بين التقاطبات التي تعود إلى مفهوم الأبعاد الفيزيائية الثلاثة مثل التعارض بين اليمين واليسار، وبين الأعلى والأسفل، وبين الأمام والخلف. كما أبرز التقاطبات المشتقة من مفاهيم المسافة والاتساع والحجم، والتي تشكل ثنائيات ضدية أو من مثل: (قريب وبعيد، صغير وكبير، محدود/ ولا محدود...) وتلك

<sup>1</sup> أحمد طاهر حسين وآخرون، جمالية المكان، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988م، ص 64.

<sup>2</sup> حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 39.

<sup>3</sup> أحمد طاهر حسين وآخرون، جمالية المكان، ص 69.

المستمدة من مفهوم الشكل (دائرة/ ومستقيم)، أو من مفهوم الحركة (جامد ومتحرك، أفقي وعمودي)، أو من مفهوم الإضاءة (مضاء/ومظلم، أبيض وأسود...)»<sup>1</sup>، وعليه فإن التمييز بين التقاطبات لا يعني أنها منفصلة عن بعضها البعض، وأن كل تقاطب لا علاقة له بالآخر.

## II. الصحراء.

أولاً: مفهوم الصحراء.

### 1. لغة:

الصحراء كلمة وردت في قواميس اللغة العربية بمعانٍ متقاربة الدلالة، والاختلاف هنا كان في زيادة بعض الألفاظ والمعاني، نذكر منها:

عرّفها ابن منظور في لسان العرب بأنها: «المستوية في لين وغلظ دون القفّ، وقيل: أنها الفضاء الواسع، وقال ابن شميل: الصحراء من الأرض، مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا إكّام ولا جبال ملساء. وأصحر المكان أي اتسع وأصحر الرجل إذا (اغور) كأنه أفضى إلى الصّحراء التي لا خمّر بها فانكشف. وأصحر القوم إذا برزوا إلى فضاء لا يواريهم شيء. وجمع الصحراء فيما قاله الجوهري. صحارى وصحراوات»<sup>2</sup>.

وورد في معجم الوسيط «(صَحْرَ) - صَحْرًا، وصُحْرَةً: أُشْرِبَ لَوْنُهُ حَمْرَةً خَفِيفَةً. فهو أصحر، وهي صحراء، والصحراء: أرض فضاء واسعة فقيرة الماء»<sup>3</sup>.

وجاء في معجم مقاييس اللغة في باب الصاد والحاء وما يماثلهما «(صحر)الصاد والحاء والراء أصلان: أحدهما البراز في الأرض، والآخر لون من الألوان. فالأول الصحراء: الفضاء من الأرض. ويقال أصحر القوم، إذا برزوا. ومن باب قولهم: لقيته صَحْرَةً بَحْرَةً، إذا لم يكن بينك وبينه سِتر. والصُّحْرَةُ: الصَّحْرَاءُ. والأصل الآخر: الصُّحْرَةُ،

<sup>1</sup> محمد عزام، شعرية الخطاب السردى دراسة، ص 70.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (مج)4، ط1، (د.ت)، ص 443.

<sup>3</sup> إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 508.

وهو لون أبيض مُشرب حمرةً. وأتان صحراء: في لونها صُحرة، وهي كهبة في بياضها وسواد. ويقال: اصحارَ النَّبْتُ، إذا هاج، وذلك أن لونه يتغير ويختلط»<sup>1</sup>.

أما في تاج العروس فقد عرفها الزبيدي بأنها: «اسم سَبَعٍ مَحَالٍّ بالكوفةِ وَمَحَلٍّ خارج القاهرة وقال الجوهري: الصَّحْرَاءُ البرِّيَّةُ، غير مرصوفة وإن لم يكن صفةً، وإنما لم يُصَرَّفْ للتأنيث، للزوم حَرَفِ التَّأْنِيثِ له، قال: وكذلك القول في بشرى، تقول: صحراء واسعة ولا تقل صحراءً واسعة، فتدخل تأنيثاً على تأنيث»<sup>2</sup>.

ومن خلال التعاريف السابقة وجدنا توافقاً على أن الصحراء تعني الأرض المستوية أو الفضاء الواسع الذي تقل النباتات فيه...

## 2. اصطلاحاً:

تعرف الصحراء بأنها: «أقاليم قاحلة منعزلة تعاني من نقص في المياه وتتمثل الحياة النباتية فيها في بعض الأعشاب المعمرة الشوكية المبعثرة التي لا تكفي لإعادة أي مجموعة بشرية مستقرة وأحياناً تغطي هذه الأراضي الرمال وهي بشكل عام هشّة بيئياً لعدم انتظام الأمطار»<sup>3</sup>.

وفي تعريف آخر هي: «ذلك الخلاء الواسع المترامي العجيب الخالي من معظم مظاهر الحياة النباتية والحيوانية، وذلك إلى جانب ندرة الماء وارتفاع الحرارة التي تؤدي إلى تبخر جزء كبير جداً، مما قد يسقط عليها من أمطار متفرقة»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، (تح): عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (جز)3، (د.ط)، (د.ت)، ص 334.

<sup>2</sup> محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، (تح): علي بشرى، دار الفكر، بيروت، لبنان، (مج)7، (د.ط)، 1994م، ص 77.

<sup>3</sup> بلي نعيمة، الفضاء الصحراوي في الرواية المغربية المعاصرة-دراسة مقارنة بين "مليكة مقدم" و"إبراهيم الكوني"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تخصص أدب جزائري حديث ومعاصر، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2020-2021م، ص 13.

<sup>4</sup> بوقفة صبرينة، تمثلات الصحراء في الشعر الشعبي الجزائري (قراءة في قصيدة حيزية لابن قيطون)، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، (جز)13، (عد)03، 2021م، ص 877.

والصحراء «فضاء رحب يمنح العقل سعة في التفكير والتدبير والتأمل والنضوج وهي متعة للعين والنفس فيها راحة روحانية، في كل بيئاتها وطبيعتها...»<sup>1</sup>.

وأيضاً هي «مكان اللامتناهي ترتبط بها المغامرة، والحرية، والانطلاق والاكتشاف، والإفلات من سطوة السلطة، وابتكار القيم الجديدة، وامتحان قدرات الذات»<sup>2</sup>.

ومما سبق ذكره فالصحراء فضاء ممتد واسع موحش قفر خاو، جافة، يعلوها الغبار، وتتلاشى فيها الأصوات، لا أثر فيها للماء إلا قليلاً، ولا ما يقيم الحياة. فهي قاسية في طبيعتها، متناقضة في مناخها، حرها شديد وبردها قارص، سطحها هو الموت وباطنها الحياة لما يخزنه من كنوز وطاقات...

أما صلاح صالح فالصحراء عنده «ليست فضاء ومكاناً إيكولوجياً خالياً من كل الدلالات والمفردات والمرتبطة بالثقافة والتاريخ وعلم الأجناس، المرتبطة بحياة الجماعات البشرية التي تعيش فيه، بل هي فضاء مليء بالرموز التي تولد رؤى فكرية خاصة بها، مما يعطي نصوصاً روائية متميزة ومتخمة بالدلالات»<sup>3</sup>.

ويرى الناقد "محمد رياض وتار" في مصنفه توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة أن «الغموض الذي يكتنف عالماً فسيحاً ومجهولاً كعالم الصحراء لا بد أن يطلق العنان لمخيلة الإنسان فتتراءى له الأشياء على صورتها الحقيقية»<sup>4</sup>.

وعليه فالناقد وتار نظر للصحراء بعين فلسفية ميتافيزيقية فهي فضاء النبوءات والكرامات والعوالم الخفية.

<sup>1</sup> محمد صديق حسن عبد الوهاب، الصحراء في الشعر الجاهلي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العربية، قسم الدراسات الأدبية والفنية، 2007م-2008م، ص 57.

<sup>2</sup> رشا أحمد محمود، قراءة سيميولوجية في رواية التبر لإبراهيم الكوني، مدرس الأدب والنقد بقسم اللغة العربية، كلية الألسن-جامعة عين الشمس، ص 113.

<sup>3</sup> يليلي عواطف، جديدي صالح، رمزية المكان الصحراوي في الرواية العربية رواية "ال دراويش يعودون إلى المنفى" لإبراهيم الدرغوثي-أنموذجاً-، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتانغست، الجزائر، (مج) 09، (عد) 5، 2020م، ص 368.

<sup>4</sup> محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2002م، ص 221-222.

## ثانيا: الصحراء في المتخيل السردي الروائي الجزائري.

لاقت الصحراء اهتماما كبيرا من قبل الروائيين العرب منهم الجزائريين سواء الجنوبيين أو الشماليين الذين أظهرت أقلامهم روعة هذه الطبيعة الصحراوية فانطلقوا برسم معالمها في إبداعاتهم. ومن المعلوم أن الرواية الجزائرية بعد الاستقلال توجهت إلى «مواكبة الفكر الاشتراكي الذي انتهجته البلاد كأسلوب سياسي واجتماعي واقتصادي من أجل الدفع بعجلة التنمية إلى الأمام»<sup>1</sup>، ومع تقدم وتطور الأقلام الكتابية وإحالتها على مواضيع جديدة، انصرف الكتاب إلى فضاء الصحراء حيث أصبحت تيمة الفضاء الصحراوي ذات جاذبية عميقة ويظهر ذلك جليا في رواية "مريم بين النخيل" لـ"محمد ولد الشيخ" التي تعتبر أول رواية في الجزائر تحدثت عن الصحراء، ولا ننسى روايتي "رياح الجنوب" و"نهاية الأمس" لـ"عبد الحميد بن هدوقة" التي جاءت أحداثهما في قرية في الريف الجزائري، وكذلك رواية "تيميمون" لـ"رشيد بوجدره" وتيميمون هي مدينة في جنوب الجزائر، وكذلك روايتي "تلك المحبة" و"ذاك الحنين" لـ"الحبيب السائح" التي تناولت الصحراء بجمالها وروعته، وأيضا رواية "تاغيت" لـ"باديس فوغالي" ورواية "اعترافات اسكرام" لـ"عز الدين ميهوبي" ورواية "بحثا عن آمال الغبريني" لـ"إبراهيم سداوي" ورواية "راهبة الصحراء" لـ"زايد بوفلجة" ورواية "أعوذ بالله" لـ"السعيد بوطاجين" ... وغيرهم، ومن الأقلام النسوية -ولو على قلتها- نجد الكاتبة "أمل بوشارب" في روايتها "ثابت الظلمة" التي تجري أحداثها في منطقة الهقار جنوب الجزائر، ونجد أيضا الكاتبة "مليكة مقدم" في روايتها المكتوبة بالفرنسية بعنوان "الممنوعة" وسنبين كيف وظفت الصحراء في روايتي "رياح الجنوب" لـ"عبد الحميد بن هدوقة" و"تيميمون" لـ"رشيد بوجدره".

<sup>1</sup> جنات زراد، تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية العربية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باجي مختار عنابة، (عد) 13، (د.ت)، ص 135.

## 1. الصحراء في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة:

تعتبر ريح الجنوب أول المحاولات الروائية الناضجة المكتوبة باللغة العربية «وقد كتبها عبد الحميد بن هدوقة في فترة كان فيها الحديث جدياً عن الثورة الزراعية فأنجزها في 1970/11/5م ثم كان التطبيق الفعلي لهذا المشروع في 1971/11/8م»<sup>1</sup>، وقد دارت أحداثها في قرية في الجزائر و«يمكن القول أن الكاتب حاول في هذا العمل أن يؤرخ ويرسم كل زوايا القرية الجزائرية»<sup>2</sup>

اهتم الكاتب فيها بذكر الرياح القوية التي تهز القرية بغبارها العنيف وصوتها الموحش فتحدث خسائر في المحاصيل وتكلف أهلها الكثير، وتتحول إلى صحراء شبه قاحلة، حتى أنه ذكر ريح الجنوب في مطلع الرواية حيث يقول: «كانت ريح الجنوب قد سكنت منذ أن طلع أول شعاع للفجر مصافحاً قمم الجبال ومحياً من بعيد ما واجهه من تراب القرية التي قضت ليلتها تحت الغبار والدوي العنيف»<sup>3</sup>، ويقول أيضاً: «ووصلت الأزمات الأولى من ريح الجنوب (القبلي) في عنف فأطفت قناديل البترول وصيرت البيت كوما من ظلام... أصبحت القرية كئيبه حزينة تغطي سماءها زوابع الغبار، وتتصارع في جنباتها رياح هوج، فإذا هي شهباء لهباء، يستعر فيها الحر استعاراً. وأصبحت الوجوه يجلها الغبار فإذا هي تبدو دكناء قانطة، وأصبح الذين يملكون شيئاً حيارى مما حل بفلاحتهم من خسائر. والذين لا يملكون أي شيء صرعى من أزيز القبلي...»<sup>4</sup>.

ضمنت هذه الرواية إشارات عن الصحراء، صورها لنا الكاتب عن طريق الرياح الهوجاء في هذه المنطقة شبه صحراوية التي عانت بسبب الرياح والجفاف وندرة الأمطار.

<sup>1</sup> العلمي مسعودي، الرواية العربية المغاربية، (محاضرة)، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2023م/2022م، ص 4.

<sup>2</sup> يسمينة عوادي، أعلام الكتابة الروائية في الجزائر، (محاضرة)، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة حمه لخضر بالوادي، 2020م/2021م، ص 42.

<sup>3</sup> عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، دار القصة للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2012م، ص 5.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 223-224.

## 2. الصحراء في رواية تميمون لرشيد بوجدره:

أما الصحراء في رواية "تميمون" فكانت موطناً للجمال والبهاء والروعة صورها لنا الكاتب من خلال منطقة تميمون تصويراً دقيقاً، حيث يقول الكاتب: «ودائماً الصحراء المنتشرة حولنا ورغم الظلام الحالك، فهي مركز الشبق والدواب والحضر والكرب، وإذا جاء الليل يتلون الأفق بلون ما بين البرتقالي والأصفر»<sup>1</sup> ونجده يصفها كذلك بقوله: «هذه الصحراء المتكونة من تراكمات حجرية غريبة وكثبان رملية رهيبة وجبال نثة وهشة وأنقاض متراكمة ومتراكبة تملأ الفضاء وتعمره»<sup>2</sup>.

ورغم أن الصحراء معروفة بجفاف جوها وندرة أمطارها وقسوة العيش فيها وبمخاطرها التي لا تنتهي إلا أنها تمتاز بالهدوء والسكينة وشساعة حجمها وكثبانها الرملية التي تعطي المنظر رونقا وجمالا، يقول الكاتب: «الصحراء قارة بأكملها»<sup>3</sup>، وهذا دليل على كبرها ويقول أيضا: «الصحراء مخيفة بمخاطرها العديدة وفضائها اللامتناهي»<sup>4</sup>، وهذا دليل على أن الصحراء موحشة مخيفة لا يأمن من يسافر فيها ليلا ولا نهارا، وقد اتخذها الكاتب ملاذا له ليخرج حزنه وألمه على جنباتها إذ يقول: «اخترت الصحراء فقط لأن أتألم فيها لم أجد مكانا أفضل في العالم كله لمثل هذه الأحاسيس السلبية»<sup>5</sup>، كما رأى أنها أفضل مكان للموت إذ يقول: «قررت آنذاك أن أدفن نفسي في الصحراء وأترقب فيها منيتي... قررت أن تكون الصحراء طريقة الموت والانتحار»<sup>6</sup>.

فالصحراء في رواية "تميمون" اكتست دلالات ايجابية رغم وجود بعض السلبيات فيها، إلا أن الكاتب صورها لنا بطريقة تبعث في نفس القارئ حب هذه الطبيعة الصحراوية الخلابة، حيث أطلق على تميمون "الواحة الحمراء" نظرا للون الطوب الأحمر الذي بنيت به بيوتهم فتعطي الناظر إليها اندهاشا بلونها الأحمر ورمالها الصفراء ونخيلها الكثير ونباتاتها الصحراوية.

<sup>1</sup> رشيد بوجدره، تميمون، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار (ANEP)، الجزائر، ط2، 2002م، ص 11.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 12.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 34.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 95.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 33.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 42.

وفي الأخير يمكننا القول أن الصحراء في الروايات الجزائرية لم تجسّد على أنها مجرد رمال وغبار وخيم ونوق بل نجدها فضاء واسعا يحمل من الجمال والهيبة ما يحمل، غاص الروائيون في الحديث عن تفاصيلها حتى وكأنها هي من تتحدث عن نفسها وتكشف مكوناتها وبنياتها العميقة.

### ثالثا: أهم مكونات عالم الصحراء.

يَعتمد توظيف مكونات عالم الصحراء في الرواية الجزائرية على انعكاس الثقافة والتقاليد والأسلوب الحياتي لسكان المنطقة داخل الرواية، فمن خلال تصوير المعالم الطبيعية والعادات والتقاليد الخاصة بسكان الصحراء، يمكن للروائي أن يعبر عن أفكاره وآرائه وقيمه الإنسانية، وهذا ما يظهر جلياً في الروايات الجزائرية التي اعتمدت على تصوير عالم الصحراء واستخدام مكوناته في السرد.

#### 1. عالم الإنسان:

ارتبط الإنسان ارتباطاً وثيقاً بالحياة الصحراوية لما لها من هدوء وسكينة وجمال وغيرها من المميزات التي تتمتع بها الحياة الصحراوية، ويتكون عالم الإنسان في الفضاء الصحراوي من عدة عناصر نذكر منها: المعتقدات والأساطير، القيم الاخلاقية، العادات والتقاليد، والموروث اللغوي.

#### أ- المعتقدات والأساطير:

جاء في كتاب "المعتقدات الشعبية في بلاد يافع" للدكتور "علي صالح الخلاقي": «هي تلك المعتقدات التي يؤمن بها عامة الناس في المجتمع، وهي إما تجلب نفعاً، أو تدفع ضرراً عن الأفراد المؤمنين بها، ويمتزج فيها الدين بالخرافة في الذاكرة الشعبية، ويتناقلها الأبناء عن الآباء والأجداد دون إخضاعها للعقل والمنطق وروح العلم وجوهر الدين»<sup>1</sup>.

أما بالنسبة للأساطير فيقول الدكتور "خليل أحمد خليل" في تعريفها: «بأن الأسطورة اشتقاقاً من سطر، أي ألف الأساطير أو الأحاديث التي لا أصل لها، الأحاديث العجيبة

<sup>1</sup> علي صالح الخلاقي، المعتقدات الشعبية في بلاد يافع، مطبعة وحدين، المكلا، ط1، 2020م، ص 10.

الخارقة للطبيعة وللمعتاد عند البشر، والأسطورة تعريفا هي حكاية عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي، وما يميزها عن الخرافة هو الاعتقاد فيها، فالأسطورة موضوع اعتقاد<sup>1</sup>، أي أنها مرتبطة بالمعتقدات الدينية وتكون بمثابة امتداد طبيعي له، حيث تعمل على توضيحها وتثبيتها لتصبح متداولة.

### ب- القيم الأخلاقية:

ويقصد بها: «السجايا والعادات الفطرية السوية الحسنة التي ترافق الإنسان في أعماله وتصرفاته وعلاقته مع الإنسان، وتعتبر الأخلاق من الثوابت وتنمى في ضوء القيم الإيمانية»<sup>2</sup>، والقيم الأخلاقية: قيم فطرية وهي النابعة من الفطرة مثل: المحبة، التعاون، العدل...، قيم إنسانية وهي ذات بعد عالمي إنساني مثل الحرية والمساواة...، وقيم إسلامية وهي خاصة بتوجيه سلوك المسلم مثل حب الله وحب الرسول، العفة والإحسان...

### ج- العادات والتقاليد:

تُعرّف العادات بأنها: «ظاهرة اجتماعية وهي معيار أو قاعدة للسلوك الجمعي، تشير إلى أفعال الناس التي تعودوا عليها، وسلوكهم على نحو شبه آلي بفضل التكرار المستمر وإلى هذا الطابع الشبه آلي يعزى الشعور بعدم الارتياح الذي نحس به عندما تسلك سلوكا خارج عن تلك العادات، والعادات جزء هام من دستور الأمة غير المكتوب. بيد أنها مدونة في صدور الأفراد، وراسية في تكوينهم»<sup>3</sup>، ومنه فالعادات تلعب دورا هاما في عملية الضبط الاجتماعي فهي تعتبر سلطة غير مكتوبة وهي تستمد قوتها بما تستخدمه من جزاءات اجتماعية وتأخذ الشكل الإيجابي عندما يلتزم بالعادة والشكل السلبي عند مخالفة العادة.

<sup>1</sup> خليل أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1980م، ص 8.

<sup>2</sup> ميسون موساوي، مجتمع وادي سوف من خلال الشعر الشعبي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر بالوادي، مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي، تخصص أدب شعبي، 2014م/2015م، ص 106.

<sup>3</sup> راضية جرمون، العرف الاجتماعي الشعر الشعبي السوفي شعر أحمد بن عطا الله أنموذجا، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر بالوادي، مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي، تخصص أدب شعبي، 2014م/2015م، ص 38.

أما التقاليد فهي: «عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك التي تنشأ عن الرضا والاتفاق الجمعي وهي تستمد قوتها من المجتمع، والتقليد هو أسلوب المجتمع في احتواء العادات النافعة، والآثار والبقايا غير نافعة. فعدد كبير من أفراد المجتمع يشير تفكيرهم إلى محاولة تفادي أخطاء الأسلاف، وينوع ما بين التراث الشعبي الحقيقي والقديم»<sup>1</sup>، وكذلك «تمارس تلك الأعراف والتقاليد ضغطاً اجتماعياً على جميع الأفراد، فلا يستطيع أحد التحرر منها وإلا فإنه يعرض نفسه للاستخفاف وللعقاب أحياناً وهذا النمط المحافظ الثابت أدى إلى استمرار عادات وقيم وبقائها على ما هي عليه منذ ما قبل الإسلام حتى اليوم»<sup>2</sup>، وعلى الرغم من أن التقاليد تمارس ضغوطاً على الفرد باعتبار آلية من آليات الضبط الاجتماعي إلا أنها تعمل على تماسك المجتمع وحفظ النظام العام بين أفراد المجتمع.

#### د- الموروث اللغوي:

يطلق الموروث اللغوي «على كل ما يحتويه التراث بجميع أنواعه التاريخي، الأدبي والديني، لأن كل ذلك يكون ثروة لغوية ينقل من خلالها كل الموروثات الحضارية. وقد أطلق مصطلح (الإرث اللغوي) بمعنى: التركة اللغوية التي ورثها الأبناء مكن الآباء والأجداد مخزوناً لغوياً بمختلف المستويات من لغتهم الأم»<sup>3</sup>. ويتمثل الموروث اللغوي في الأمثال والحكم واللغة العامية (اللهجة).

للمثل دور كبير في حياة الفرد والمجتمع، لأن الإنسان لا يعيش في عالمه الكبير بقدر ما يعيش في عوالمه الصغيرة؛ أي تجاربه، وكلما عاش الإنسان في هذه التجارب وأحس بوقعها على نفسه كان أشد ميلاً للتعبير عنها وعن نتائجها. وفي تعريف فريدريك زايلر للمثل<sup>4</sup>، يقول: «القول الجاري على ألسنة الشعب، الذي يتميز بطابع تعليمي، وهو شكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة»<sup>4</sup>، فالأمثال هي أقوال مرصوفة قليلة اللفظ غزيرة المعاني فيها من السجع والإيقاع والبلاغة والإيجاز والتشبيه.

<sup>1</sup> راضية جرمون، مرجع سابق، ص 39.

<sup>2</sup> محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، ص 221-222.

<sup>3</sup> أمل إبراهيم أنور محمد، التوظيف السياسي للموروث اللغوي في العربية والعبرية دراسة تطبيقية مقارنة على مسميات حروب غزة، رسالة المشرق، ص 06.

<sup>4</sup> نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، مصر، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت.)، ص 140.

وتُعرف اللهجة: «مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد البيئة، وبيئة اللهجة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض»<sup>1</sup>، أي أنها اللغة التي تتفق عليها جماعة من الناس ليتكلموا بها فيما بينهم وتكون لها صفات تميزها عن غيرها من اللهجات.

## 2. عالم النبات.

اقترن مفهوم الصحراء بصعوبة العيش فيها، نظراً لصعوبة المناخ كالحر الشديد وندرة المياه، فالعيش في هذا النوع من الأرض صعب جداً لقلة الغذاء وقحالة الأرض. وتعد النباتات الصحراوية من المكونات الطبيعية الهامة في الأدب العربي القديم والمعاصر، ففي الشعر العربي القديم تُعتبر من رموز الجمال والأصالة والعزة، حيث يُمثل ظهورها في الصحارى والبراري الواسعة جمالاً فريداً يُبهج النفس، ومن أشهر هذه النباتات هو النخيل، الذي يُمثل رمزاً للعزة والكرامة والرفعة. ومع ظهور القصة والرواية لجأ الكتاب لتوظيفها لتظهر في مواضع متعددة، مثل تصوير الحياة القاسية والتحديات التي يواجهها الإنسان في الصحراء، أو وصف الحياة البرية والطبيعة الجميلة أو تصوير الشخصيات والمواقف التي تتعلق بالحياة في الصحراء، وبشكل عام تعتبر هذه النباتات عنصراً هاماً في صناعة الشخصيات وتكوين البيئة في الأعمال الأدبية الصحراوية، وعلى غرار بعض المناطق الصحراوية توجد بوادي سوف -النباتات الصحراوية في وادي سوف وهو موضوع بحثنا في الرواية في صحراء سوف- أنواع مختلفة من الأشجار والنباتات، نذكر منها:<sup>2</sup>

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2002م، ص 15.

<sup>2</sup> بن عمارة محمد، تأثيرات أنماط البيئة في تغيير العادات الاجتماعية الغذائية-دراسة ميدانية بصحراء وادي سوف. وادي العنودة نموذجاً.-، رسالة مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع البيئة، جامعة محمد خيضر بيسكرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، 2014م-2015م، ص 68.

النباتات الرعوية: العزيد، الحلفاء، البشنة، القرطيفة، النمص، القصيبة، الشيح،...

نباتات رعوية طبية: عنب الذيب، الفجيل، الحرمل، الحنضل، الفقاع (الفطر)،...

أشجار للطهي والتدفئة: الأزل، العلندي، الزيتاء، البائل،...

نباتات برية وبستانيّة: الريحان، الرند، البسباس، الرحلة، النعناع، الكرنب، الخروع،...

الخضروات: الكابو (اليقطين)، القرع، اللفت، الجزر، البطيخ، البطاطا، السلق...

وعلى العموم فإنه توجد ثروة نباتية بوادي سوف، إلا أن أهم ما يميز الثروة النباتية هو النخلة، وقد تعلق وتغنى بها السوفي وضرب بها الأمثال، وأصبحت جزءاً منه، كما يوجد أشجار أخرى مثمرة وغير مثمرة، مثل العنب، الرمان، الليمون...

### 3. عالم الحيوان:

إن توظيف الحيوانات الصحراوية في الرواية يمثل ظاهرة شائعة ومتعددة الأبعاد، حيث يمكن استخدامها في تصوير البيئة الصحراوية وتوضيح التحديات التي يواجهها الإنسان والحيوان، أو استخدامها لتمثيل البشر وصفاتهم وسلوكياتهم، أو كرموز ودلالات دينية، حيث تختلف دلالة كل حيوان تبعاً للثقافات والتقاليد المختلفة، أو لمجرد وصف للطبيعة أو للمكان والزمان الذي تدور فيه الأحداث، أو في الأحاديث والأمثال والحكايات، التي تستخدم في النص والتي توظف لتحمل معانٍ وقيم اجتماعية، أو توضيح لمفهوم معين.

ويمكن القول أن توظيف الحيوانات الصحراوية في الرواية الجزائرية ظهر بشكل واضح في عدة أعمال أدبية، وخصوصاً الروايات التي تتناول حياة الصحراء وثقافتها حيث تحاول تصوير علاقة الإنسان بالطبيعة والبيئة المحيطة به، والتي تشمل الحيوانات والنباتات والصخور والتضاريس المختلفة، وكذلك مواجهتهم للعوامل الطبيعية القاسية في الصحراء، مثل الرياح القوية والعواصف الرملية وانعدام المياه.

ومن الحيوانات التي تعيش في صحراء وادي سوف نذكر: الغزلان والجمال، والضباب والأفاعي والعقارب، السحالي، والخنافس وغيرها.

ومما سبق فالصحراء من المكونات الهامة في الثقافة الجزائرية والفنون الأدبية، تتسم بالجفاف والحرارة الشديدة، وبها جمال وروعة طبيعية لا تضاهى، مما جعلها مكونًا أساسيًا في الرواية الجزائرية، ومصدرًا للإلهام والإبداع، حيث تتألف الصحراء من عدد كبير من المكونات الطبيعية والثقافية، ومن بينها: الأراضي الرملية الواسعة والشاسعة، التي تشكل جزءًا كبيرًا من الصحراء الجزائرية، ووجود العنصر البشري الذي يعد عنصرًا متفردًا في ثقافته وطبيعته وتاريخه، بالإضافة إلى الحيوانات البرية المتواجدة في الصحراء، مثل الجمال، والحمير، والظباء،..، وأيضًا النباتات المتكيفة مع الصحراء، مثل الصبار، وأشجار الدوم، والعناب، والفسيلاء...

**خلاصة:**

وفي نهاية هذا الفصل نستطيع القول أننا جمعنا مختلف تجليات الفضاء الروائي، وصولاً إلى مصطلح الصحراء الذي يشير إلى فضاء واسع لا متناهي من الرمال والصخور والتضاريس القاحلة والقاسية، ومن ذلك يمكننا استخلاص أهم النتائج التي توصلنا إليها:

✓ الفضاء الروائي مصطلح معقد اختلف النقاد والباحثين في تسميته واعتماده داخل النصوص الأدبية.

✓ يعتبر الفضاء الروائي العُمدة في الرواية، فهو دُعاة ترتكز عليها باقي عناصر السرد الأدبي كالزمن والحدث والشخصيات.

✓ تتجلى أنواع الفضاء الروائي في كونه جغرافياً لا يتجاوز وصف الأمكنة، ونصياً يعتمد على القارئ، ودلالياً الذي يُعد امتزاج بين المدلول السطحي والضمني، وكمنظور أو كروية يعتمد على وجهة نظر الكاتب، وروائياً يتشكل من خلال اللغة.

✓ يشير مصطلح الصحراء إلى المناطق الواسعة والمكشوفة التي تتسم بالجفاف والقلّة في النباتات والحيوانات المتكيفة مع هذه الظروف الصعبة.

✓ ولسكان الصحراء طابع بدوي بسيط يختلف عن حياة المدن، ففي الصحراء هدوء وسكينة وتأمل.

وانتهاءً من هذا الفصل النظري ننتقل إلى الفصل التطبيقي الذي سندرج ونطبق فيه هذه المفاهيم النظرية على "رواية الملحد" لـ"عبد الرشيد هميسي".

الفصل الثاني

الأبواب السبع

الفصل الثالث

**تمهيد.**

أولاً: أنواع الأفضية الصحراوية في الرواية.

1. الفضاء النصي.
2. الفضاء الجغرافي.
3. الفضاء الدلالي.
4. الفضاء كمنظور أو كرؤية.

ثانياً: مكونات الفضاء الصحراوي.

1. عالم الإنسان.
2. عالم الحيوان.
3. عالم النبات.

ثالثاً: الأبعاد العامة للصحراء.

1. قيم ايجابية.
2. قيم سلبية.

رابعاً: الأبعاد الدلالية للفضاء الصحراوي.

1. البعد السياحي.
2. البعد الديني.
3. البعد الفلسفي.
4. البعد الصوفي.

خامساً: فضاء التقاطبات الثنائية.

1. الصحراء/البادية.
2. (الزاوية، المسجد)/الساحة.

سادساً: علاقة الفضاء الصحراوي بالأبنية الأخرى.

1. علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصية.
2. علاقة الفضاء الصحراوي بالزمان.

خلاصة.

**تمهيد:**

يعد موضوع الصحراء من المواضيع التي جاءت مؤخرا لتحرز تقدما كبيرا في ميدان الأدب العربي، ومن الروايات التي وظفت موضوع الصحراء "رواية الملحد" لـ"عبد الرشيد هميسي" التي نحن بصدد دراستها وتحليلها وفق المنهج السيميائي.

أبرزت لنا هذه الرواية الفضاء الصحراوي بمختلف تجلياته حتى لكأنها استتظقت ما فيه من عادات وتقاليد وثقافة من خلال قرية حاسي خليفة، التي تعد جزءا من تركيبة الفضاء الصحراوي، على لسان بطل الرواية الذي أضحي ملحدا وأمسي مؤمنا.

وسنحاول الولوج إلى هذا الفضاء من خلال الرواية للكشف عن بواطنه ودراسة أهم أنواعه ومكوناته وأبعاده وعلاقته بالأبنية الأخرى.

**أولا: أنواع الأفضية الصحراوية في الرواية.**

تعددت وتتنوعت واختلفت الأفضية الصحراوية في رواية "الملحد" وذلك لعلاقتها وارتباطها بحركة الشخصيات المتغيرة من بداية الرواية إلى نهايتها، وقد قسمنا الأفضية الصحراوية إلى فضاء نصي وفضاء جغرافي وفضاء دلالي وفضاء كمنظور أو كروية.

**1. الفضاء النصي:**

نوهنا سابقا إلى أن "الفضاء النصي" يخص كل ما في المساحة الورقية من غلاف الرواية وعناوين الفصول والبياض والسواد والأحرف الطباعية... الخ.

**أ- سيميائية الغلاف:**

إن الغلاف هو أول شيء يلفت نظر المتلقي في أي عمل أدبي، وقد يكون في بعض الأحيان مقصودا يُفصح عما تريد الرواية إضفاءه.

تضمّن غلاف رواية الملحد أربعة ألوان وكل لون يحيلنا إلى قراءة سيميائية مختلفة، فنجد خلفية الغلاف بلون أصفر باهت كلون الرمال ويختلف اللون الأصفر في دلالاته حسب الموضع الذي وضع فيه، ويحمل العديد من الأبعاد السيميائية تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات، منها دلالات إيجابية كالسعادة والفرح، فاللون الأصفر يعد لونا مشرقا ومبهجا

ويمثل في بعض الثقافات العلم والمعرفة وقد يشير إلى الأمن والأمان وأيضاً الصدق والإخلاص، وكذلك الإبداع والخيال فقد يستخدم في مجالات الفن والتصميم، بينما له دلالات سلبية في العديد من الثقافات الشرقية فيستخدم للانتباه والتحذير، إذ يرمز إلى الخطر والموت والمرض، ويعبر كذلك عن الخيانة والغدر في الثقافة الصينية، «وتتميز العديد من الحضارات بين رمزية اللون في حالتها الكمود واللمعان، ففي الموروث العربي الإسلامي، قد يمثل الأصفر الذهبي العقل والحكمة والنصيحة الجيدة، أما الأصفر الباهت فدلّيل خيانة وخيبة أمل»<sup>1</sup>، إلا أن غلاف الرواية يوحي بشيء من الألم والتيه والضياع فكأنه يدل على رمال في صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا حياة، وهذا ما حدث فعلاً لبطل الرواية الذي دخل في صراع نفسي بحثاً عن الحقيقة فالتيه النفسي والاعتراب النفسي هو قريب جداً من هذا اللون، فنتضح لنا هذه الصورة من خلال خلفية الغلاف التي توحى بالكآبة والألم والحزن.

وعلى الغلاف توجد صورة يد تحاول التقاط ظل رجل هائم في الصحراء وعلى اليد توجد صورة لفضاء يتخلله القمر قبيل اكتماله بدرًا، وترتسم على الأصابع تضاريس صحراوية رملية محمرة، توحى اليد بالعديد من الأبعاد السيميائية منها البعد الديني قال الله تعالى: **﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾**<sup>2</sup> ادعى اليهود أن يد الله مغلولة لا تعمل، تعالى الله عما قالوا فيد الله مبسوطه وقادرة على فعل أي شيء، كما ترمز اليد للقوة والقدرة والكفاءة وتختلف الدلالات باختلاف الثقافات فمن المعتاد في الثقافة الغربية التحية باليد مرفوعة، بينما في بعض الثقافات الأخرى يعتبر هذا التصرف غير لائق وما رأيناه في الرواية أن منظر اليد يوحي بالعون فالإنسان لا يستطيع العيش بمفرده يحتاج إلى يد تأخذه إلى الحق إلى النور إلى الحياة، فهيئة الأصابع وهي تحاول الالتقاط توحى لنا بأن هذا الرجل يعيش مرحلة انتظار رهيبه جداً، وتجسيد الرجل كظل بلون اسود له دلالة سيميائية فقد كان يرمز للظل في المجتمعات القديمة بالروح وأقرب دلالة له في الرواية الضلال فكأن الرجل في كفر وضلال وانحراف، وبيحث عن من يلتقطه إليه.

<sup>1</sup> كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، 2013م، ص 114.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 64.

أما اللون الأحمر الذي ارتسمت به التضاريس الصحراوية على الأصابع فيدل على أنها الصحراء ليلا ويكفي فخرا أن الليل ذكر في القرآن الكريم: ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى﴾، «ولولا أن الليل أجلّ لما أقسم الله به وقدمه على النهار»<sup>1</sup>، والقمر في الصورة لم يكن بدرا لأن لحظة الالتقاط لم تكن بعد فلو اكتمل البدر لتم الانتشال والالتقاط من هذا الضياع والنتية والاعتراب، وفي أعلى الغلاف كُتب اسم الكاتب باللون الأبيض الناصع وهو يشق ساعد اليد عرضا، والساعد هو الذي يحرك اليد لولا الساعد لما استطاعت اليد أن تقوم بأية حركة، كأن الكاتب هنا عبارة عن بنية نصية تعبر عن القوة التي ستلتقط هذه الشخصية فهو الذي ألف هذا النص وبيده يستطيع أن ينتشل هذه الشخصية من تيهها وضياعها، وكتابة اسم المؤلف باللون الأبيض دليل على النقاء والطهر والصفاء وهذا اللون «في الإسلام هو لون إحرام الحجيج، لأنه يختزل أعمال الإنسان وسيرته وتاريخه ويمزجها فتغدو لا لون لها»<sup>2</sup> وقد «ذكر اللون الأبيض في اثني عشرة آية»<sup>3</sup> منها وصف من أنعم الله عليهم بالجنة ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾<sup>4</sup>، «والأبيض في بعده الأسطوري هو لون آلهة الحب والجمال عند الرومان التي ولدت في زبد الماء الأبيض»<sup>5</sup> وهو «لون الموت لدى البرجوازيين سكان استرالها الأصليين. ففي طقوس لا تزال قائمة حتى اليوم يقوم البرجوازيون بطلاء أجسامهم بخطوط بيضاء محولين أنفسهم إلى هياكل عظمية كي يتم تناسخ السلف في سلالاتهم...وفي البوذية اليابانية، ارتبطت الآلهة البيضاء، واللوتس الزهرة البيضاء بحركة قبضة المعرفة للملمهم الكبير بوذا»<sup>6</sup>، هذا والغالب على اللون الأبيض أنه رمز للعفة والنزاهة والطهارة والوضوح.

وتحت صورة ظل الرجل الهائم يوجد عنوان الرواية الرئيسي "الملحد" بلون أحمر، حيث يعتبر هذا اللون «الرمز الأساس لمبدأ الحياة بقوته، وقدرته، ولمعانه، هو لون الدم والنار»<sup>7</sup> ولهذا اللون أبعاد سيميائية مختلفة إذ يعد في العبرية «أصل الدم، وهو مساو

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1982م، ص 208.

<sup>2</sup> كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رميتها، ودلالاتها)، ص 61.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 60.

<sup>4</sup> القرآن الكريم، آل عمران، الآية 106.

<sup>5</sup> كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رميتها، ودلالاتها)، ص 58.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 57.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، ص 73.

للحياة... والأحمر لون مميز، يدخل في كثير من العادات في روسيا، والصين، واليابان، حاضر في المهرجانات والأعياد الشعبية... أيضاً وبامتياز لون المحاربة في التقاليد الأيرلندية»<sup>1</sup>، واللون الأحمر عند المتصوفة يشير إلى النفس الملهمة وهي النفس التي قطعت كل السبل أمام أنواع الشرور متوجهة إلى ربها، ويدل في علم النفس على التحفيز والطاقة، ويمتلك معان أخرى في بعض الثقافات فعلى سبيل المثال يعتبر رمزا للحظ والرفاهية في الثقافة الصينية، وقد يرمز للغضب والشر في الثقافة الهندوسية، وإلى الحب والرومانسية في الثقافة الغربية، ومن ارتباطه بلون الدم «استعمل للتعبير عن المشقة والشدة والخطر»<sup>2</sup>، وهذا ما حدث فعلا لبطل الرواية الذي تعرض للخطر وعاش بمشقة في مراحل حياته خاصة عندما ضاع في الصحراء وكأن هذا اللون يدل على الحالة النفسية التي عاشها، وربما أن كلمة الملحد كتبت تحت صورة (اليد والرجل) دلالة على أن الالتقاط يأتي من الأسفل إلى الأعلى فكأن هذه اليد ستأخذ هذا الملحد من الظلام والضلال وترفعه إلى الأعلى إلى النور والضياء، ولكن هناك أمر مهم في هذه الكلمة وهو الرفع والخفض الذي كُتب باللون الأبيض، الرفع له دلالة الرفة والمكانة، والخفض له دلالة الانحطاط والضعف، وهو بيد الله عز وجل يعز من يشاء ويذل من يشاء، وكُتب باللون الأبيض لأن الرفع والخفض يوصلك إلى الاضطراب والاضطراب يوصلك إلى الحقيقة، والطريق إلى الحقيقة هو الطريق إلى النور واليقين، والحقيقة لا تتأتى بالراحة والنوم بل تتأتى بالجهد والمكابدة والتعب والسهر والبحث والحيرة هذه هي الرسالة التي يحملها هذا الخطاب....

وتحت العنوان الرئيسي عنوان فرعي "بقي بن يقضان" باللون الأسود ولهذا اللون دلالات كثيرة منها: «رمز الحزن والألم والموت. كما انه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتّم... ويدل على العدمية والفناء»<sup>3</sup>، «وقد ذكر الأسود في الإسلام في سياق الحديث عن كراهية أهل الجاهلية للأنثى، ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾<sup>4</sup>، فكأن كظم الغيظ والضيق يجعل النفس سوداوية، وهذي السوداوية تلتبس في الوجه على أن للسواد دلالة خاصة في القرآن عندما يتصف به المشركون فنهايتهم سواد

<sup>1</sup> كلود عبيد، مرجع سابق، ص 75-88.

<sup>2</sup> أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ص 212.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 186.

<sup>4</sup> القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 58.

ومقرهم النار»<sup>1</sup>، و«لون الحداد في الشرق هو الأسود...وغالبا ما يكون لباس رجال الدين أسود اللون»<sup>2</sup>، وهذا اللون بحسب جلال الدين الرومي هو «لون مطلق، نهاية كل الألوان الأخرى، يصل معه المتصوف إلى مرحلة رفيعة من النشوة، حيث تظهر الألوهية للمتصوف وتبهره»<sup>3</sup> و«ويعبر الأسود عن السلبية المطلقة»<sup>4</sup> لذلك ربما هذا اللون يجسد الواقع الذي عاشه البطل، فقد كانت حياته سواد وظلام وحزن كآبة وألم، ويقبع العنوان الفرعي تحت كلمة الملحد، فهو تحت دوامة الإلحاد التي خاض معها صراعات نفسية حتى اسودت حياته، وتحت هذا العنوان الفرعي يوجد جنس النص "رواية" كُتبت باللون الأسود في الجهة الأمامية وباللون الأبيض في الجهة الخلفية ولعل أقرب تفسير لذلك هو حياة البطل التي كانت سوادا وضلالا وجحيما عندما كان ملحدا وتحولت إلى طهر ونقاء وبياض عندما أصبح مسلما.

والجهة الخلفية للغلاف تحتوي على العنوان الرئيسي للرواية "الملحد" بجانبها جنس النص "رواية" وتحتها اقتباس من الرواية وعلى اليمين صورة للكاتب مع اسمه باللون الأسود.

#### ب- سيميائية العنوان:

اهتمت السيميائية بالعنوان اهتماما كبيرا، فهو أول ما يلتفت نظر القارئ ويعتبر من «أهم العتبات النصية الموازية المحيطة بالنص الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النص، واكتشاف معانيه الظاهرة والخفية، إن فهما وإن تفسيراً، وإن تفكيكا، وإن تركيباً»<sup>5</sup>، أي أنه يعكس أبعاد النص لتسهيل فهم المحتوى المتعلق به.

يتكون عنوان رواية الملحد من شقين، أحدهما مفرد والآخر مركبا.

#### الشق الأول: "الملحد"

#### الشق الثاني: "بقي بن يقضان"

<sup>1</sup> كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها)، ص 67.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 65-66.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 67.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 64.

<sup>5</sup> جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، المملكة المغربية، ط2، 2020م، ص 8.

جاء العنوان الرئيسي الملحد مفردا بخط سميك وبلون أحمر دلالة على المشقة والشدة والخطر، والعنوان بهذا الشكل يستقطب اهتمام المتلقي لما تحمله هذه الرواية في طياتها.

والإلحاد أو اللادينية هو موقف يرفض وجود الإله ويعتبره خرافة أو وهما وهذا ما حدث لبطل الرواية الذي انحرف فكريا وأصبح ملحدا في مرحلة من مراحل حياته.

وجاء العنوان الفرعي مركبا:

بقي: «بقي: في أسماء الله الحسنى الباقي: هو الذي لا ينتهي تقدُّير وجوده في الاستقبال إلى آخر ينتهي إليه، ويُعبَّر عنه بأنه أديُّ الوجود. والبقاء: ضدَّ الفناء، بقي الشيء يبقى بقاءً وبقي بقاءً»<sup>1</sup>، فالباقي هو الله، وبقي من الاستمرارية، والباقي هو من تبقى، فالكل فان وهالك إلا الباقي هو الذي يبقى، وفي الرواية لم يوضع هذا العنوان اعتباطا إذ له العديد من الدلالات السيميائية منها دلالة الاستمرارية، وتحمل دلالة تعبر عن حالة الثبات في الحياة، وعن البقاء في الحالة الراهنة دون تغيير أو تحول، ويمكن تفسيرها في الرواية أن البطل كاد أن يموت في الصحراء لكنه نجا بأعجوبة لذلك فهو بقي.

بن يقظان: «يَقِظُ: اليَقِظَةُ: نَقِيضُ النَوْمِ، والفِعْلُ اسْتَيْقَظَ، وَالنَّعْتُ يَقْظَانُ، والتَّائِيثُ يَقْظِي، وَنِسْوَةٌ وَرِجَالٌ أَيْقَاطٌ»<sup>2</sup>، وكلمة يقظان دليل على اليقظة، والذكاء والانتباه، ويمكن تفسيرها في الرواية أن الباقي هو اليقظ، إذ لا يفهم المعنى إلا إذا قرأ الفصلين الأخيرين من الرواية، وأول شيء يجذب انتباهنا في هذا العنوان الفرعي أنه يتعالق مع رواية أخرى وهي رواية "الغريب" لـ"ألبير كامو" حيث لا نرى اختلافا كبيرا بينهما في شخصية البطل، فكأن رواية الملحد تكلمة لرواية الغريب ولكن بخطاب جديد ولغة جديدة، ونهايتها "حي بن يقظان" لـ"ابن طفيل".

### ج- عتبة الفصول:

احتوت رواية "الملحد" على أربعة فصول فصلين منها فقط يخص الصحراء وهما الفصل الثالث والرابع ويبدأ كل فصل بجملة من الاقتباسات تدل على ما سيحصل فيما بعد من أحداث فنجد في الفصل الثالث قول الكاتب: «مريم. من رأى عينيك ولم يؤمن فهو

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (جز)14، ط1، ص 79.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (جز)7، ط1، ص 466.

الملحد»<sup>1</sup>، يحمل اسم "مريم" العديد من الأبعاد السيميائية منها البعد الديني حيث يرمز في الدين الإسلامي إلى مريم العذراء أم "سيدنا عيسى عليه السلام" وفي الدين المسيحي ترمز إلى الأم الإلهية ووالدة يسوع المسيح، وفي بعده الثقافي يرمز إلى الحزن والألم في بعض الثقافات الشرقية، ويستخدم في الأدب كرمز للحنين والشوق، وقد يرمز في الرواية إلى الفتاة التي وقع "بقي" في حبها وكانت من أسباب دخوله للإسلام، وكذلك أرفق الفصل بمقولة للإمام علي بن أبي طالب: «الناس أعداء ما جهلوا»<sup>2</sup>، والبعد التأويلي لهذه العبارة أن ما تجهله يؤديك إلى الهلاك، فلا تكن جاهلا عن الحقيقة، عليك أن تكتشف كل شيء، فالذي تفهمه وتستوعبه سيكون نجاتك وسعادتك، فالجهل أكبر عقبة في حياة الإنسان تنتشر في نفسه فتعميها عن الحقيقة، والذي رأيناه في الرواية هو جهل "بقي" بماهية الكون وحقيقته فيخوض حوارات مع "سي لمين" في أمور يجهلها، وآخر اقتباس في هذا الفصل مقولة "جلال الدين الرومي" يقول: «من دون الإيمان بالغيب تغلق على نفسك كوة الدار»<sup>3</sup>، والبعد التأويلي لهذه العبارة هو التأكيد على قضية الإيمان بالغيب، فالإيمان الحقيقي ليس إيمانا باللسان فقط بل يقينا بالقلب، فما تقصده هذه العتبة النصية أن تؤمن بالغيب لأن كل شيء مقدر لك فإن آمنت بهذه الحقيقة لن تحزن وتتألم على شيء فاتك في هذه الدنيا، فقضية الإيمان بالغيب هي قضية أساسية ولا يصح إيمان العبد إلا إذا آمن بالغيب، ونجد أول اقتباس في الفصل الرابع مقولة "جلال الدين الرومي" «عندما تقرر أن تبدأ الرحلة سيظهر الطريق»<sup>4</sup>، ولهذه العبارة علاقة بالإيمان بالغيب أيضا، فالبعد التأويلي لها أن تؤمن أن الله معك في كل خطوات حياتك يحرسك ويحميك ويرشدك إلى الطريق الصحيح، وفي الرواية تبدأ رحلة "بقي" في الصحراء حيث دخلها ملحدا فأصبح مسلما، وكذلك مقولة "جبران خليل جبران" «ما تنكره في الماضي قد ينتظرك في الحاضر»<sup>5</sup>، البعد التأويلي لهذه العبارة أن ما تتجاهله في الماضي ربما ينتظرك في الحاضر، وما رأيناه في الرواية أن ما كان ينكره "بقي" في الماضي، جاء الحاضر لثبت له حقيقة ما كان ينكره، وكذلك مقولة

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2020م، ص 67.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>3</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 105.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

"أنشتاين" «أهم شيء هو ألا تتوقف عن السؤال»<sup>1</sup>، البعد التأويلي لهذه العبارة هو تأكيد أهمية السؤال والبحث، فالفضول هو الدافع الرئيسي لاستمرارية الحياة، وآخر مقولة لهذا الفصل "لجلال الدين الرومي" «لا حل لك إلا أن تكون عبدا»<sup>2</sup>، والبعد التأويلي لهذه العبارة أنه ليس هناك طريقة لتحقيق الرضا إلا من خلال خدمة الله وإتباع حدوده.

وكذلك نجد "البياض" جليّ في الرواية حيث قبل كل فصل وبعده نجد صفحة بيضاء، ونعني بالبياض «المساحات الخالية في صفحات الرواية، سواء كانت بين السطور أو في نهاية فقرة أو فصل أو في هامش الصفحة أو بين الكلمات في الفقرة الواحدة أو في الجملة الواحدة»<sup>3</sup>، وكمثل على ذلك في الرواية نجد ذهاب "بقيّ" إلى الصحراء حيث يقول: «كنت أفكر فيما قاله لي مختار، فقد أخبرني أنه سيخرج مع نفر من أصحابه عرض الصحراء سياحة، ودعاني إلى الخروج معه ووعدني أنني سأرى في عرض الصحراء أشياء ليست في البادية ولن أراها ما عشت»<sup>4</sup> فكانت هذه نهاية الفصل الثالث ثم يأتي البياض ليدل على النقلة المكانية من القرية إلى الصحراء يتمثل في ورقة صفراء كلون الرمال ليجعلنا نعيش أحداث الرواية بحذافيرها، إضافة إلى "الكلام المحذوف" الذي عادة يكون في بعده السيميائي يشير إلى دلالات ورموز لإجراء تلميحات أو لإضفاء الغموض على النص، ومن أمثلة ذلك في الرواية نجد: «بعد أن أنهى تلقينه القرآن للصبية، أعطاهم خبزا وحلوى وأشياء أخرى فانصرفوا يأكلونها وهم يضحكون ..»<sup>5</sup>، وكذلك نجد: «أما الخنافس والنمل والأوزاغ فقد خرجت تسعى...»<sup>6</sup>، وهذه النقاط عبارة عن كلام محذوف لم يفصح عنه الكاتب ليتترك المجال للقارئ للإدلاء بتأويلاته، أو يكون الكلام المحذوف دلالة على اختصار الكلام ومثال ذلك: «اللون الأخضر لجريدها عرض، كان بالإمكان أن يكون أزرق أو

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، (ص.ن).

<sup>2</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>3</sup> مراد عبد الرحمان مبروك، جيوبولوتيكيا النص الأدبي (تضاريس الفضاء الروائي نموذجاً)، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002م، ص 164.

<sup>4</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 102.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 75.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 114.

أبيض أو أسود...»<sup>1</sup>، وكذلك نجد: «هل يختار الإنسان ميلاده وموته وجنسه ولونه،  
ووالديه...؟!»<sup>2</sup> فهنا النقاط دليل على كلام محذوف، حذفه الكاتب لاختصار الكلام.

وقد لجأ الكاتب إلى طريقة "الكتابة العمودية" في بعض المواضع وهي «استغلال  
الصفحة بطريقة جزئية فيما يخص العرض كأن توضع الكتابة على اليمين أو في الوسط  
أو في اليسار وتكون عبارة عن أسطر قصيرة لا تشغل الصفحة كلها»<sup>3</sup>، نجد ذلك في  
حوار "بقي" مع "السي لمين":

«فقال: تؤمن بقانون الجاذبية إذن؟. فقلت مؤكداً.

فقال هل رأيت الجاذبية أو لمستها أو شممتها أو ذقتها؟

فقلت ساخراً: وهل ترى الجاذبية أو تلمس أو تشم أو تذاق!

فقال صادماً: إذا هي غيب. فلم أدر بم أرد عليه!»<sup>4</sup>

ونجدها أيضاً في الجملة التي كررها "سي لمين" لـ "بقي" ثلاث مرات:

«يا بقي، ما وراء الأشياء إلا الله.

يا بقي، ما وراء الأشياء إلا الله

يا بقي، ما وراء الأشياء إلا الله.»<sup>5</sup>

تدل "الكتابة العمودية" هنا على إبراز أهمية العبارة وتأكيداً فقد تكررت ثلاث مرات  
على التوالي.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 80.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 96.

<sup>3</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 56-57.

<sup>4</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 91.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 90.

وبشكل كبير استعمل الكاتب "الكتابة الأفقية" وهي «استغلال الصفحة بشكل عادي بواسطة كتابة أفقية تبتدئ من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار»<sup>1</sup>، ونذكر على سبيل المثال:

«كانت الصحراء أوسع مما تصورت وأنقى وأهدأ مما تخيلت. لم نصل إلى المكان الذي سنقيم فيه إلا بعد مسيرة طويلة، بعد أن انقطعت الأصوات فلا صوت يتناهى إلى أسماعنا، ليس فوقنا إلا سماء وليس تحتنا إلا رمل»<sup>2</sup>، وتدل الكتابة الأفقية هنا على تتابع الكلمات بتسلسل الأحداث لدى الشخصية الراوية.

ومنه نقول أن بتتبعنا للفضاء النصي الصحراوي نجد أنه نقطة انطلاق القارئ في الرواية في إخراجها للدلالات وتحليلها ودراساتها.

## 2. الفضاء الجغرافي:

يتجلى هذا الفضاء من خلال الأماكن التي وقعت فيها أحداث الرواية لأنه الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات لنقوم بأدوارها. ولو تحدثنا عن الفضاء الصحراوي في الرواية لوجدنا أنه اقتصر على الفصلين الثالث والرابع، ومن أهم الأفضية الجغرافية الصحراوية الموجودة في الرواية نذكر أماكن الإقامة وأماكن الانتقال.

### أ- أماكن الإقامة:

☒ فضاء قرية حاسي خليفة: تعد القرية الوسط الذي يتجمع فيه مجموعة من فئات المجتمع كبارا وصغارا ويستقرون فيه ويصنعون مجتمعا يميزهم، وفي "رواية الملحد" كانت قرية "حاسي خليفة" هي نقطة انطلاق الشخصية البطلة لحياة جديدة وهي: «بلدية من بلديات ولاية الوادي الواقعة في الجنوب الشرقي للجزائر»<sup>3</sup>، وهي منطقة صحراوية تمتاز بنخيلها ورمالها وتمورها «وكل شيء في هذه البلدة واضح: رزقهم، أيامهم، نهارهم، ليالهم، كلامهم، شمسهم، قمرهم، لهوهم، جدهم، ما يأكلون وما يدخرون، لا شيء في

<sup>1</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 56.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 107.

<sup>3</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 56.

البادية غامض أو مستور حتى أسرارهم مكشوفة»<sup>1</sup> أي أنها تختلف عن العيش في المدينة وصخبها، فالبطل كان يعيش في فرنسا فكانت قرية حاسي خليفة غريبة عليه في كل شيء في سكانها وطريقة عيشتهم ولباسهم وأكلهم، وفي مناخها المتقلب وصحرائها الواسعة... الخ.

وما أراه الكاتب هو إظهار الجانب الخفي لهذا الفضاء، فعلى الرغم من بساطة العيش فيه إلا أن تأثيره على بطل الرواية "بقي" تجلى في تغيير حياته من جذورها بسبب "سي لمين" و"مريم" و"الصحراء".

☒ فضاء البيت: يمثل البيت عادة مكان استقرار الإنسان وينظر إليه كمأوى له ولأفراد أسرته، فهو متطلب أساسي لحياته كطعامه وشرابه وكسائه، و«يمثل كينونة الإنسان الخفية، أي أعماقه ودواخله النفسية، فحين نتذكر البيوت والحجرات فإننا نعلم أننا نكن داخل أنفسنا. في البيت ينطوي الإنسان على نفسه، لأنه يمنحه شعورا بالهناء والطمأنينة والراحة، وذلك في مقابل ما يتعرض له في محيطه الخارجي من تهديد واذى»<sup>2</sup>، «ولأن البيت مأوى الإنسان، فإنه يمثل وجود الحميم، يحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمية»<sup>3</sup>، والبيت مكان وحيز مغلق في كل زاوية منه ذكريات وضحك وبكاء وسمر وحزن وألم وفرح، لكن عندما يتحول هذا الحيز المغلق والمحدود إلى فضاء، فينفتح على دلالات لا متناهية من خلاله نتأمل ونؤول ونفكر، ومن خلاله نعطي انطباعاتنا المختلفة، حضر البيت في "رواية الملحد" عندما كان بطل الرواية "بقي" يصف بيوت قرية "حاسي خليفة" التي لم ير مثلها من قبل فكانت غريبة عليه بعض الشيء يقول في ذلك: «أثناء الطريق تأملت بيوتهم المبنية بالجبس، حيطانها قصيرة، أسقف غرفهم قباب، أكثر جدرانها غير مدهونة، لونها بني من أثر سطوع الشمس المتكرر... ملمسها خشن وكثير منها مشقق، أبوابها من خشب رديء وهي مفتوحة لا تقفل أبدا وكأن هذه البادية تصالحت مع شطارها، لا يكاد بيت يخلو من نخلة تتوسط الحوش وكأنها سيدة مطاعة، أو هي خارج البيت تحرسه من الأعداء»، فبيوت القرية لها ميزة خاصة تميزها عن غيرها، فقد بنيت بالجبس دلالة على البساطة والبدائية والجبس يعني التاريخ والأصالة،

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 72.

<sup>2</sup> محمد بوعزة، تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 106.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، (ص.ن).

وحيطانها قصيرة دلالة على الأمن والأمان في هذه القرية حتى أن بطل الرواية تعجب من أبوابها المفتوحة على الدوام التي تكون عادة دليل على وجود الأمان في هذه القرية، وأسقف غرفهم قباب كي تعكس أشعة الشمس الحارة وأكثر جدرانها غير مدهونة دلالة على البساطة وعدم التكلف وليست حالهم بالحال التي يغيرون ألوان البيوت، ولونها بني من أثر سطوع الشمس المتكرر، دلالة على صعوبة الحياة، ودلالة على الحرارة الشديدة التي تغير لون الجدران، كذلك تدل على الصمود والصبر، وملمسها خشن أي ليس أملس وليس لماع دلالة على خشونة العيش، وكثير منها مشقق دليل على طول المدة التي يضل الإنسان السوفي يعيش تحت سقف مشقق وجدار مشقق وهو صامد وصابر لدرجة أن الحيطان التي تشققت يضعون لها أعمدة خاصة، ولا يكاد بيت يخلو من نخلة لأن النخلة شجرة مباركة وهي من الأشجار المعمرة والصامدة، ولها دلالات عدة منها: الرفعة والأصالة والتاريخ، وتعتبر رمز قرآني، وهي من شجر الجنة.

إذا فللبيت أهمية بالغة في الرواية له دوره البارز في تصوير القرية والتأمل في أبعادها المختلفة، وهو يمثل فضاء مكانيا تخلفه الكتابة وفق رؤية جمالية.

☒ فضاء الصحراء: تعتبر الصحراء فضاء واسعاً لا متناهي، باطنها غني بما يملك من ثروات، فرغم صعوبة العيش فيها إلا أنها تتميز بمكانة مرموقة منذ القدم، وللصحراء أبعاد مختلفة منها البعد الأسطوري إذ تعد الصحراء منطقة شاسعة ونائية ومهجورة وتتميز بالعزلة والصمت مما يساعد على نمو الخيال والخروج بأفكار مبتكرة وأساطير خيالية، وتتوغل الأساطير والحكايات حول الصحراء فمنها ما يتعلق بأساطير الأرواح والجن والأشباح التي يعتقد الناس أنها تسكن الصحراء وتخيف المسافرين، وفي بعدها الديني تعتبر الصحراء مهد الأنبياء، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يرعى الغنم في الصحراء، كما نزل سيدنا إبراهيم عليه السلام في واد غير ذي زرع، وارتبط غار حراء في جبل ثور بعزلة النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، كما رُفِع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء من فلسطين، وارتبط جبل طور سيناء بصحراء مصر بالنبي موسى عليه السلام، وكان الرسالة الربانية تقول أن من يريد الوصول للذات الإلهية عليه أن يمر بالصحراء. فالصحراء نرى فيها ما لا نراه في المدينة من صبر وتحمل وصفاء ذهن.

وتمثل الصحراء أماكن الانتقال للبعض وأماكن الإقامة للبعض الآخر، ونجد في روايتنا أن بطل الرواية "بقي" قد مكث فيها شهور، فهي بذلك تعتبر من أماكن الإقامة، وقد صورت لنا الرواية جمال الصحراء ومخاطرها، يقول الراوي: «كانت الصحراء أوسع مما تصورت وأنقى وأهدأ مما تخيلت»<sup>1</sup>، وهذا دليل على أن الصحراء مصدر الهدوء والسكينة خاصة لشخص يراها لأول مرة فيلاحظ الفرق الرهيب بينها وبين القرية والمدينة، ويقول أيضا: «كان الصباح، كل شيء في الصحراء صاف، الشمس والسماء والرمل أما الخنافس والنمل والأوزاع فقد خرجت تسعى... كأنما رزقت هذه الصحراء حياة»<sup>2</sup>، فإن كان الإنسان لا يستطيع العيش في الصحراء وحيدا لفترة طويلة فإن الله خص وأحاط بالصحراء من يؤنسها من حيوانات ونباتات، و قد تشكل هذه الحيوانات والنباتات مخاطر على الإنسان في أحيان كثيرة، يقول الراوي: «إن المشي وحيدا في الصحراء مخيف، لكن إن تجاسرت ستشعر بأن حرية ما تغمر جسدك»<sup>3</sup>، فعلى الرغم من مخاطر الصحراء وما قد يصيبك فيها إلا أنها تمنحك شعورا بالحرية.

إذا فالصحراء فضاء لا متناهي من العجائب والغرائب طرحتها الرواية لإبراز ملكوت الله فهو خالق هذه الصحراء ومسير لكل ما فيها، وبحكمته وعدله وضع لكل شيء ميزان.

#### ب- أماكن الانتقال:

☒ فضاء البستان: البستان «هو ما يكون حائطاً فيه نخيل متفرقة تمكن الزراعة وسط أشجاره، فإن كانت الأشجار ملتقاة لا تمكن الزراعة وسطها فهي الحديقة»<sup>4</sup>، وقد اقترن اسم البستان منذ القدم بالمكان الذي تتم فيه زراعة مختلف النباتات والأشجار والنخيل خاصة في المناطق الريفية وذلك للحصول على ثمارها فهي تعتبر مصدر رزق للكثير من الناس، ويجب على البستاني أن يعتني بالنباتات اعتناء شديدا حتى لا يلحقها أي ضرر.

وفي الرواية نجد بطل الرواية "بقي" يصف بستان "مختار الخياط" والخيرات الموجودة فيه إذ يقول: «في البستان نخل كثير، وخليط الروائح المنبعثة منه تنعش؛ البلح، والقرع،

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 107.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 114.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 110.

<sup>4</sup> الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص 45.

والفلفل، والبطيخ، والعب والتفاح والرمل المبلل...»<sup>1</sup> وهذا دليل على أن هذا البستان يحتوي على مساحات كبيرة مختلفة للزراعة، ويقول عنه أيضا: «تركني ممددا في بستان مختار متنعا بريح المزروعات وبراءة الرمل المبلل وبهامات النخل التي أخذت خضرتها تسود مع الغروب»<sup>2</sup>، وهذا دليل على أن البساتين تعطي شعورا بالراحة والسكينة والهدوء فاتخذها بطل الرواية مكانا للتأمل والتعم والتفكير، وفي حديثه عن بساتين قرية "حاسي خليفة" يقول: «أما بساتينهم فقد كانت متشابهة: نخيل، وزروع تعولهم، وآلة سقي تقليدية مجهدة اسمها (لوريا)، وكانوا يتحايلون على الطبيعة المجدبة بأن يحفروا في الأرض ساحة بعمق المترين ويغرسوا فيها نخيلهم لكي يكون الماء أقرب إليها فلا يضطرون إلى السقي دائما»<sup>3</sup>، وهذا دليل على أن بساتين القرى عادة لا تختلف عن بعضها البعض وكل منها تكون لإعالتهم، ويستخدم البستانيون جهاز قديم للسقي يسمى ب(اللوريا) للتحكم بكمية الماء المسقي على المحاصيل الزراعية.

☒ فضاء الزاوية: تعتبر الزاوية مدرسة دينية لحفظ القرآن وطلب العلم واستقبال الضيوف، عُرِفَت منذ القديم في الحضارة الإسلامية في صحراء الجزائر، وقد تم ذكر الزاوية في الرواية يقول الراوي: «وصلنا إلى بيت قرب بيته يسمونه (الزاوية)، كان من جبس، لا زخرفة فيه ولا زينة، به غرفة شرقية كبيرة، يستقبل في هذه الزاوية زواره؛ الأصدقاء، والفقراء، والدرراويش، وعابري السبيل، والمستفتين، والمتخاصمين، والمستأنسين... كلهم يجدون عند هذا البدوي بغيتهم، كأن قلبه واحة معطاءة لا ترد أحدا»<sup>4</sup>، فالزاوية لها مكانتها ورمزيتها، تضم مشايخ لهم مقامهم المعلوم وأثر بالغ في نفوس أهل الصحراء، الذين يتصفون بالزهد والتقوى، وقد بُنيت الزاوية بالجبس من دون زخرفة ولا زينة دليل على البساطة وعدم التكلف، ولمصطلح الزاوية علاقة بالزهد والمتصوفين إذ تُعد مركزا للقيادة الروحية والتربوية والاجتماعية في المجتمعات الصوفية، وهي مكان يجتمع فيه المتصوفون للعبادة والتدبر والتأمل، وللزاوية بُعد اجتماعي، فهي مكان لإعانة المحتاجين وعابري السبيل والدرراويش والفقراء وفك الخصومات بين الناس.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 71.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 82.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 73.

<sup>4</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 100.

شكل هذا الفضاء مكانا منيرا بالإيمان اعتمدها أصحابها لطلب العلم وإعانة المحتاجين وإكرام الضيوف، ونرى أن الرواية أبرزت لنا هذا الفضاء كمكان يتميز به أهل الصحراء عن غيرهم.

☒ **فضاء المسجد الكبير:** المسجد هو بيت الله الذي يتعبد فيه المسلمون، وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمَهُ﴾<sup>1</sup>، وتصلى في المسجد الصلوات الخمسة المفروضة وغيرها من الصلوات والعبادات، ويطلق على المسجد أيضا اسم الجامع إذا كان كبيرا، لأنه يجمع الناس.

وفي رواية الملحد تم وصف الشكل الخارجي للمسجد إذ يقول الراوي بطل الرواية: «أما المسجد فقد كان من جبس مطلي باللون الأبيض، له صومعتان قصيرتان تتوسطهما قبة كبيرة، وصومعة طويلة نأت عنهم قليلا، وفوق القبة هلال من حديد، أخبرنا أن اسمه المسجد الكبير»<sup>2</sup>، يتميز هذا المسجد بتصميمه الهندسي الأثري، فقد بُني بالجبس دلالة على البساطة وطُلي بالأبيض دلالة على النقاء والصفاء والنور والضياء والبراءة والطهارة والسلام، كما أن اللون الأبيض يخلق جوا مريحا داخل المسجد ويشعر الناس بالهدوء والسكينة، ويستخدم اللون الأبيض أيضا في العمارة الإسلامية التقليدية بسبب قدرته على انعكاس الحرارة والضوء، وهو ما يجعل المسجد يشعر بالبرودة في فصل الصيف والدفء في فصل الشتاء، والصومعة والهلال هما رموز إسلامية، فالصومعة هي المنبر الذي يقف عليه الإمام لإلقاء خطبة الجمعة، أما الهلال فهو شكل يشبه القوس يرمز إليها في المساجد للإشارة إلى القمر الهجري، ولتحديد بداية كل شهر إسلامي جديد، وتشير الصومعة والهلال في المسجد لأهمية العبادة والتقرب إلى الله، ويعتبرون جزءا من التقاليد الإسلامية التي ترمز إلى الشعائر الدينية، فأول من وضع الهلال والنجمة هو الدولة العثمانية، وفي هذا المسجد لا تقام الصلوات المفروضة فحسب بل أيضا يتم فيه تحفيظ القرآن الكريم للصبية الصغار حيث يحتوي على غرف إضافية مخصصة لهم.

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 14.

<sup>2</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 71.

فالمساجد إذا تعد مراكز للحضور والتواصل الاجتماعي للمسلمين في المجتمع بجوها الروحي والديني الهادئ حيث يقوم الأئمة والخطباء بإلقاء الدروس والمواعظ على الناس وتذكيرهم بآيات الله تعالى.

☒ فضاء السوق: السوق هو مكان يستخدمه البعض للبيع والبعض الآخر للشراء، وتشمل السلع والخدمات بأنواعها، وتتفاوت الأسواق من حيث الحجم والنطاق والمجالات، ويعتبر السوق من العناصر الأساسية في الاقتصاد حيث يساهم في تحقيق التوازن بين العرض والطلب.

وقد تم الإشارة إلى السوق في الرواية، يقول الراوي: «الحوانيت كانت ضيقة جدا والبضاعة تقليديه وقليلة تكفي هذه البلدة ذات البيوت المتناثرة لا ضجيج في هذا السوق الصغير، ولا في الشوارع...»<sup>1</sup>، وهذا دليل على بساطة معيشة أهل الصحراء وقلة عددهم على عكس المدينة التي يكثر فيها عدد السكان، وهذا السوق من الأسواق الشعبية البسيطة التي تقل فيها الحركة بسبب قلة عدد السكان المتواجدين في هذه القرية وهو يمثل رمزا للثقافة المحلية.

### 3. الفضاء الدلالي:

يعد الفضاء الدلالي من الفضاءات التي تتولد في الروايات ذات الأحداث المتتابعة والمشوقة، لذلك فهو حاضر بدوره في رواية "الملحد".

وهو فضاء مرتبط بدلالات خيالية أي مجازية وإيحائية وأخرى حقيقية كما نوهنا إلى ذلك سابقا، إذ «إن لغة الأدب بشكل عام لا تقوم بوظيفتها، بطريقة بسيطة إلا نادرا، فليس للتعبير الأدبي معنى واحد، إنه لا ينقطع عن أن يتضاعف، ويتعدد، إذ يمكن لكلمة واحدة مثلا أن تحمل معنيين تقول البلاغة عن أحدهما بأنه حقيقي، وعن الآخر بأنه مجازي»<sup>2</sup>، أي أن لغة الأدب تنتج عدة معاني وعدة دلالات للكلمة الواحدة أحدهما حقيقي والآخر مجازي.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر نفسه، ص 72.

<sup>2</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 60.

وعند دخولنا للفصلي الثالث والرابع نجد مجموعة من الصور البيانية (تشبيهات، استعارات، كنايات)، تحمل في طياتها دلالات عن بيئة الصحراء منها حديث "بقي" عن الشمس الصحراوية إذ يقول: «أما الشمس فقد نأت إلى الأفق لتغرق فيه تاركة وراء الأشياء ظللاً أطول منها»<sup>1</sup> وأيضاً بنفس المعنى قوله: «الشمس تتهاوى وراء كثبان الرمل مودعة»<sup>2</sup>، والمقولتان دليل على بداية غروب الشمس الصحراوية وحلول الليل، وللشمس العديد من الدلالات تختلف باختلاف الديانات والثقافات حيث تعتبر رمزا للإلهية في بعض الحضارات، فقد تم عبادتها كرمز للخلود والمجد، وتُعد في بعض الثقافات رمزا للحرية والتحرر وترمز أيضا للتجديد والتحول حيث تتلاشى في غروبها وتعود من جديد في شروقها، ويقول في حديثه عن الليل «كان الليل قد نشر سواده في الأرض وفي السماء»<sup>3</sup>، وهذا دليل على أن الليل قد اشتد ظلامه، فالليل يرمز للظلام والغموض وعدم وضوح الأشياء بسبب غياب الإضاءة الطبيعية، ويرمز كذلك للقلق والخوف والخطر، وفي حديثه عن النجوم يقول: «السماء تكاد تمطر نجوما من فوقك»<sup>4</sup>، وكذلك يقول: «أراقب زخم النجوم، وكأن أحدا رمى السماء بنثار مضيء»<sup>5</sup>، وهذا دليل على كثرة نجوم سماء الصحراء، وللنجوم العديد من الرموز منها الحلم والتمني، وكذلك الصبر والقوة والعزيمة، وفي بعض الثقافات ترمز إلى السحر والخيال، كما نجده يشبه "مريم" بالنجوم بقوله: «لم تغب مريم عن بالي فقد كنت أراها عند كل نجمة بارقة... وذكرت الليالي التي أحييناها حبا وصبابة، والنخلتين اللتين كانتا شاهديتين على كل ما كان يحدث بيننا، والقمر الذي كان يؤنسنا»<sup>6</sup>، فالنجوم تذكره بمريم التي كان يلتقي بها كل مساء أمام النخلتين.

كذلك حديثه عن الغيوم: «غيمة متنافرات يتمتعن بنور الشمس ودفئها»<sup>7</sup>، وهذا دليل على أن الطبيعة الصحراوية تزخر بجو دافئ تزين سماءها القليل من الغيوم الجميلة المبعثرة، وتتميز بشمسها الصفراء التي تسر الناظرين إليها، كما في قوله تعالى: ﴿صَفْرَاءَ

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 70.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 108.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 110.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 109.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 69.

فالق لونها تسر الناظرين»<sup>1</sup>، فاللون الأصفر الفاقع يمنح الإنسان البهجة والسرور، وكذلك عندما كان يجادل "سي لمين" قال في نفسه: «ظننته سيبهت، وسيتبعثر بيانه كما غيمات الصيف في هذه الصحراء»<sup>2</sup>، نجد في سياق كلامه أنه كان يظن أن "سي لمين" سيتبعثر مثل غيوم الصحراء المبعثرة عندما سأله عن خلق الله، ومن المعروف أن غيوم الصيف عند اشتداد أشعة الشمس تتلاشى بسرعة كأنها لم توجد، وهذا يشير إلى أن غيم الصحراء يختلف عن غيم المناطق الشمالية، لا يخشى منه سائلا لأنه في الغالب لا ينزل مطرا، وفي قول الكاتب: «أيقظتني أشعة الشمس»<sup>3</sup> دليل على أن الشمس الصحراوية حارة، وعند وصفه للرمال الصحراوية الصفراء أيضا يقول: «رملا أصفرا يتكاثب بعضه على بعض، نقيا يغريك بالعبث به والاستلقاء عليه»<sup>4</sup>، ويقول في موضع آخر: «الرمال الناعم من تحتك»<sup>5</sup> وهذا دليل على جمال الرمال الصحراوية التي يفتقر إليها البلد الذي كان يعيش فيه، وللرمال العديد من الدلالات السيميائية تختلف باختلاف الثقافات والاعتقادات الدينية والتاريخية كأن يرمز للوحدة والتعاون بين أفراد المجتمع أو يرمز للتأمل والسكون وكذلك التحدي والإصرار، ويرمز للعزلة والبرودة والانطواء في بعض الأحياء، ويعتبر الرمل الصحراوي من أجمل المناظر الطبيعية في العالم، ويشير إلى الجمال والأناقة، لكن سرعان ما تتحول هذه الرمال إلى رياح حيث يقول: «انتظر هدوء هذه الرياح المجنونة. لكنها أصرت على جنونها حتى الصباح...الرياح الغنيدة لازالت تعبت بالرمل تذهب به يمينا وشمالا للأعلى وللأسفل...لم أر إلا الرمل المطير وكأن الحياة تحولت فجأة إلى رمل!...الرياح لا تزال سيدة والرمال عبيدها»<sup>6</sup>، وهذا دليل على قوة الرياح الصحراوية وطول مدتها التي تسبب الكثير من الأضرار، وهنا نقف أمام بُعدين دلاليين متناقضين، الرمل الناعم الجميل والرمل المطير بسبب الرياح القوية، تحول الرمل من شيء يبعث بالراحة والسعادة والمتعة إلى شيء يبعث بالألم والخوف والاعتراب، وفي حديثه عن النخيل يقول: «طالعنا نخيل...كأنه يستطلع

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 69.

<sup>2</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 80.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 71.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 69.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 110.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 111.

القادمين ليخبر البلدة بقدمهم»<sup>1</sup>، شبه النخيل بمِرقب البلدة في علوه، ولهذه العبارة أبعاد دلالية سيميائية فالنخلة تتميز بالثبات والقوة حيث تعد شجرة طويلة العمر ومتمينة، وتتميز بقوتها في الوقوف أمام الظروف الصعبة، وبشكل عام فإن النخلة تمثل رمزا شاملا للحياة والثبات والحيوية والازدهار والجودة، وذلك بسبب الدور الرئيسي الذي تلعبه في حياة الناس في العديد من الثقافات، ونجد في الرواية أن النخلة عند أهل الصحراء ليست جماد بل هي روح لها دفئها وقيمتها ووجودها، صورتها لنا الرواية كجزء من القرية.

إذا فرواية الملحد غنية في فصلي الثالث والرابع بعبارات ومصطلحات لها دلالات مرتبطة بالفضاء الصحراوي.

#### 4. الفضاء كمنظور أو كرؤية:

هذا الفضاء يفسح المجال للراوي لرسم أحداث الرواية من خلال الشخصيات والأحداث، هذا الراوي «الذي من خلاله تتحدد رؤيته إلى العالم الذي يروي به بأشخاصه وأحداثه، وعلى الكيفية التي من خلالها أيضا -في علاقته بالمروي له- تبلغ أحداث القصة إلى المتلقي أو يراها»<sup>2</sup> وتتجلى الرؤية هنا تحديدا بفضاء الصحراء بمنطقة حاسي خليفة إذ يقول: «طالعنا نخيل حاسي خليفة بلونه الأخضر الداكن وطوله الشاهق»<sup>3</sup>.

إذا فهذا الفضاء في الفصلين الأخيرين تجسد حول منطقة في الجزائر وهي حاسي خليفة، واختلفت زوايا نظر الشخصيات عن رؤية الراوي وكانت الشخصية البطلة في الرواية تساوي الراوي أي الرؤية مع.

والأبعاد السيميائية لـ«الرؤية مع» تكمن في أن الرواية تثير فضول القارئ وتجعله منسجم ومتشوق مع الرواية، حيث تكون الشخصية هي من تطلعنا على الأحداث وتصدمننا كل مرة بمشهد جديد ورؤية جديدة وواقع جديد.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 70.

<sup>2</sup> سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السر-التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997م، ص 284.

<sup>3</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 70.

ومن الدلالات السيميائية لـ"الرؤية مع" في رواية "الملحد" أنها تقم القارئ في الأحداث وتجعله يعيش القصة بجوها النفسي وجوها الرؤيوي وجوها الدلالي، وهذا ربما يختلف عن الروايات الأخرى التي تكون فيها الرؤية من الخلف والرؤية من الأمام.

## ثانياً: مكونات الفضاء الصحراوي.

الصحراء رمز للأسرار والغموض والعوالم الخفية المرتبطة بأجواء الأساطير والحكايات الخرافية الدائرة حول عالم الجن والكائنات الخارقة، يغذي ذلك ويضخمه طبيعة الفضاء الصحراوي المتسم بالاتساع والسكينة والإبهام، مما يجعل كل مكونات هذا الفضاء علامات ورموزاً مشحونة بالإيحاء، ومن مكونات الفضاء الصحراوي نجد:

### 1. عالم الإنسان:

عالم الإنسان هو مجال واسع يدرس الإنسان من ناحية السلوك والثقافة والتاريخ، يتميز بجوانب عدة منها: المعتقدات والأساطير والقيم الأخلاقية وأيضاً العادات والتقاليد وغيرها...

#### أ- المعتقدات والأساطير:

المعتقدات والأساطير هي عناصر مهمة في ثقافات الشعوب والمجتمعات المختلفة حول العالم، وتتباين هذه المعتقدات والأساطير من ثقافة لأخرى، حيث يتم تشكيلها بناءً على تجارب الأجداد وتاريخ المجتمع، وقد تتنوع هذه المعتقدات بين الدينية والأساطير الخرافية وما بينهما، وتتضمن الإيمان بالملائكة والشياطين والجن والأرواح والوحوش والأساطير الخرافية، حيث أدرج الكاتب مسألة الاعتقاد بوجود الجنّ في روايته، فيقول: «أثناء جولتنا وجدنا رجلاً على ملامحه أثر الجنون كان يتكئ تحت رمانة ويفعل أشياء توهم أنه في حوار مع جلسائه، فقال لنا مختار: «إنه العروم وهو الآن في حديث مع الجن». استطعت أن أكتف ضحكي لكنني لم أستطع ألا أسخر من جهل مختار وبدأوته سرا، عن أي جن يا مختار تتحدث؟ لا وجود لهذه المخلوقات إلا في رأسك وفي القرآن الذي تقرأونه صباحاً مساءً»<sup>1</sup>، «الجنّ عالم آخر غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بصفة العقل والإدراك، ومن حيث القدرة على

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 73.

اختيار طريق الخير والشر، ويخالفون الإنسان في أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الإنسان، وسموا جنّاً لإجتناهم أي استتارهم عن العيون»<sup>1</sup>.

### ب- القيم الأخلاقية لأهل الصحراء:

تختلف القيم الأخلاقية من مجتمع لآخر، ومن بين القيم الأخلاقية الشائعة التي قد تميّز المجتمعات الصحراوية نذكر:

☐ الكرم وحسن الاستقبال والترحيب: إن إكرام الضيف سمة غريزية اكتسبها أبناء وادي سوف من أسلافهم، وظلوا متمسكين بها كجزء أساسي من مكارم أخلاقهم السامية، فالضيف يتم استقباله استقبالا حارا بالثناء والترحيب وبشاشة الوجه من قبل المستضيف، ونجد ذلك في رواية "الملحد" في قول "بقي": «نزلنا عند "مختار الخياط" فرحب بخالي وتضامنا ضمة تشي بالشوق المكنون في قلبيهما»<sup>2</sup>، ويسعى أهل الصحراء إلى الاعتدال في جميع شؤون حياتهم والتواضع في التعامل مع الآخرين، إذ يجب على المضيف أن يحترم ضيفه ويقدم له كل الاحترام والتقدير، وهذا ما ورد في الرواية في استقبال مختار الخياط للضيوف في بيته وتقديمه لهم الأكل والشرب فيقول: «عند الظهيرة تناولنا الغذاء وكان كسكسا، مغطى بمرق أحمر عليه لطحّة من سمن، يتوسط ذلك كله هبرة عظيمة، أكلنا وارتوينا لبنا وماء»<sup>3</sup>. ويقول أيضا: «بعد أن أنهى تلقينه القرآن للصبية أعطاهم خبزا وحلوى وأشياء أخرى... ثم التفت إلي ودعاني إلى مجلسه فلبيت. أكرمني باللبن وبالرطب»<sup>4</sup>، ويعتبر كرم ضيافة المشروبات الصحراوية جزءاً من التقاليد والعادات العربية، وهو يتضمن تقديم الأكلات والمشروبات الساخنة والباردة للضيوف، مثل الشاي والوزوزة حيث نجده يقول: «سلم علي وأكرمني أكلا وشربا، فارتويت من الوزوزة الحامضة»<sup>5</sup>.

ويعتبر شرب الشاي عند أهل الصحراء من العادات المتوارثة جيلا عن جيل حيث يشكل جزءاً أساسياً من ثقافة الضيافة في هذه المناطق، وتعتبر طقوس شرب الشاي معروفة بالحفاظ على الروابط الاجتماعية، ومن دلالاته أنه مهدي نفسي لهذا يرتشفه أهل الصحراء

<sup>1</sup> عمران سليمان الأشقر، عالم الجن والشياطين، مكتبة الفلاح، الكويت، ط4، 1984م، ص 11.

<sup>2</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 70.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 73.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 75.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 87.

بكثر، فيقول: «أتشرب الشاي؟ سألني وصب من الابريق شايًا في الكوب دون أن يسمع جوابي، وناولنيه بكرم بدوي أصيل، ثم صنع شيئًا غريبًا إذ أخذ بأطراف أصابعه حفنة من السكر ووضعها قرب غار نمل ثم نظر إلي وقال: «هم يشتهونه، وأنا أحب أن أكرم مخلوقات الله»<sup>1</sup>، فمختار الخياط لم يكتف فقط بالترحيب وإكرام الضيوف بل وأكرم مخلوقات الله أيضًا بحفنة من السكر.

في الصحراء لا يكتفي الإنسان بشرب كأس واحد من الشاي رغم مذاقه المر كما يقول "بقي": «فصب لي كأس شاي آخر، احتسيتته رغم مذاقه المر، وأثناء ذلك جاءه درويش عليه لباس رثة وجلس حذاءه، وقال في لكمة مبينة "يا نعمسيدي أريد أن أكل شواء". فنادى سي لمين أحد صبياناه، وأخرج نقودًا من عمامته وأمر الصبي أن يشتري لحما ويذهب به إلى بيته لشيءه والإتيان به إلى هذا الدرويش»<sup>2</sup>، كذلك قوله أيضًا: «عند العشاء ازدرت "الهبية" في بيت مختار ولقد كانت لذينة، وهي مزيج من القرع واللحم، تطهى في مناسبات بمناسبة وقوف العرجون، أي عند اكتمال نمو عراجين التمر، ثم شربنا الشاي»<sup>3</sup>، ويقول: «أطعمني تمرًا وسقاني لبنًا وماء»<sup>4</sup>، إن أهل الصحراء، يحرصون على كرم الضيافة وتقديم الطعام والشراب للضيوف بكل حفاوة، وذلك لأن الطعام والشراب هما من أساسيات الحياة في المنطقة القاحلة التي يعيشون فيها.

☒ طلب العلم: يعد طلب العلم وقراءة القرآن في الزوايا والمساجد من الأعمال الحسنة التي يحبها الله ويرضاها، فهذا يساعد على تعميق المعرفة بالدين والإسلام، ويتيح الفرصة لتعلم الأخلاق الحميدة والقيم الدينية فيقول: «لم يدخلنا إلى فناء المسجد الداخلي ورضي لنا أن نرى الغرفة والباحة التي يتعلم فيها الأطفال القرآن، أرانا إياها فإذا أصوات الأطفال مثل دوي النحل، كانت أغلب رؤوس الأطفال محلوقة، وجلودهم مسمرة من حر الشمس يلبسون جيبًا فضفاضة، كل واحد فيهم يمسك لوحًا من خشب مطلي بالطين، كتبت فيه أسطر بلون بني داكن، كانوا يقرؤون ويتميلون كأنهم يستلذون بفعلهم هذا، يتوسطهم

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 90.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 91.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 94.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 100.

رجل له جبة بيضاء وعمامة»<sup>1</sup>، تدل أدوات الكتابة البدائية على بساطة أهل الصحراء وما يملكونه من وسائل بسيطة، ويقول أيضا: «وعيناه مُلتدَّتَان بِالقرآن الذي يتلوه على الصبية»<sup>2</sup>، وتعتبر كتابة القرآن في اللوح من العادات القديمة عند المسلمين فيقول: «دخلت المسجد من بابه الشرقي وانعطفت يمينا فوجدت سي لمين غارقا في كتابة آيات من القرآن في لوح مستطيل لطفل مخلوق رأسه بطريقة سيئة، لأن... كان سي لمين ينقع قلما منحوتا من قصب في قارورة صغيرة بها سائل أسود يقال له "الدواية" ويكتب ببطء... وصلنا إلى بيت قرب بيته يسمونه الزاوية وكان من جبس، لا زخرفة فيه ولا زينة، به غرف شرقية كبيرة، يستقبل في هذه الزاوية زواره، الأصدقاء، والفقراء، والدرائش، وعابري السبيل، والمستفتين، والمتخاصمين، والمستأنسين...»<sup>3</sup>، ومما سبق نستنتج أن الزوايا والمساجد من المصادر الهامة لتعلم العلم الديني والتواصل مع أئمة ودعاة المساجد وعلماء الدين، وهي أماكن مفتوحة للجميع وتوفر فرصا للتعلم والتأمل في ملكوت الله عز وجل.

### ج- العادات والتقاليد:

تتميز المجتمعات بمجموعة من العادات والتقاليد بحيث تختلف من مجتمع لآخر، ومن مدينة لأخرى، بحيث يقلد الأفراد طرق الجيل الذي سبقه ويسير عليها، سواء في المأكل أو الملبس أو غيرها من عادات الحياة اليومية، فهي تقوم على خلق روابط قوية بين أفراد المجتمع أو الأصل الواحد في المعاملة مع الآخرين، حيث يعتبرون أنفسهم جسدا واحدا، لذلك فإن العادات هي سلوك متكرر ومكتسب اجتماعيا ويُتعلّم اجتماعيا ويمارس اجتماعيا ويُتوارث اجتماعيا. أما التقاليد فهي «سلوك فردي تبنته الجماعة وتوارثته جيلا عن جيل وهو مجموعة القواعد والسلوكيات التي تخص طبقة معينة، أو ترتبط ببيئة محدودة النطاق»<sup>4</sup>، ومما سبق نستنتج أن العادات هي أعراف يتوارثها الأجيال لتصبح جزءا من عقيدتهم، أما التقاليد فهي مجموعة من قواعد السلوك التي تنتج عن اتفاق مجموعة من

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 72.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 75.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 87.

<sup>4</sup> وداد مهدي، فطيمة بفور، الحضور التراثي في رواية "مملكة الزيوان" لـ"الصادق الحاج أحمد" أنموذجا، جامعة محمد الصادق بن يحي تاسوست -جيجل-، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2018م/2019م، ص 62.

الأشخاص وتستمد قوتها من المجتمع، وتدل على الأفعال الماضية القديمة الممتدة عبر الزمن بحيث هي متوارثة جيلا عن جيل.

ونلمس في رواية "الملحد" حضورا لبعض العادات والتقاليد التي يقوم بها أهل منطقة حاسي خليفة، وهي كالآتي:

☒ اللباس: يختلف اللباس لدى أهل الصحراء حسب مناطقهم وثقافتهم الخاصة، كما أنه يحمل دلالات اجتماعية، فاللباس ليس مجرد مظهر خارجي بل يجيء وراءه عديد من القيم والضوابط التي تعبر عن روح المجتمع ووجوده الحضاري، فيقول: «كانت أغلب رؤوس الأطفال مخلوقة، وجلودهم مُسَمَّرَة من حر الشمس يلبسون جببا فضفاضة،...، يتوسطهم رجل له جبة بيضاء وعمامة»<sup>1</sup>، يشتهر سكان الصحراء باللباس التقليدي الذي يتكون من الثوب الفضفاض الملائم لمناخ الصحراء، الذي يدل على بساطة الإنسان الصحراوي وعدم اهتمامه بالمظاهر، كما تدل الرؤوس المخلوقة والجلود المُسَمَّرَة على شدة الحرارة في الصحراء.

☒ الطعام والمشرب: الأكل في الصحراء يعتمد على الموارد المتوفرة فيها، يُعتبر الشاي من المشروبات الشائعة في الصحراء، ويقدم أهل الصحراء الشاي بطريقة خاصة لها طابعها الفني والجمالي، حيث يتم تحضيره بشكل مميز، كما يعتبر الشاي رمزا للضيافة فيقول: «اسمه مختار الخياط... وكان يحب شرب الشاي»<sup>2</sup>. ويقول أيضا: «شربنا الشاي»<sup>3</sup>، وتعد خبزة الملة واللحم المشوي من الأكلات الشعبية لأهل الصحراء فيقول: «عندها أخرج أحد القائمين على الطعام خبزة مستديرة من بين الفحم والرمل،...عندها أخبرني أحدهم بصوت خشن يثير الجوع في المعدة: إن هذه الخبزة تسمى خبزة (الملة) لأنها تمل في الرمل وأن الرمل لا يلتصق بها لأنه ساخن جدا، ثم ضرب الخبزة ضربا خفيفا ونفخ فيها جيدا بعد أن رشها بقطرات من الماء، ثم قسمها إلى قطع أربعة وناولني قطعة، شممت رائحة الشحمة والطماطم والبصل فانفتحت شهيتي أكثر، ذقتها...كانت هذه تجربتي الأولى مع خبزة الملة. بعد ذلك أكلنا اللحم المشوي على حطب الزيتا حتى امتلأت بطوننا»<sup>4</sup>، تعتبر

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 72.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 56.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 71.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 108.

الأكلات الصحراوية كاملة من أجود ما يصنعه الإنسان الصحراوي وأغرب ما يتذوقه الإنسان الأجنبي، فبالرغم من أن "بقيّ" ذاق طعم الملة لأول مرة إلا أنه أعجب بمذاقها المميز وأكل منها حتى امتلأت بطنه.

ومن بين المأكولات الشائعة نجد بعض الحشرات كالجراد والزواحف كالأفاعي والسقنقور والضباب، فيقول: «أخبرني أن اسمها أم جنيب، وأنه سيشويها ويأكلها»<sup>1</sup>، ورغم بساطة أهل الصحراء والأشياء التي يأكلونها إلا أن "بقيّ" حاول أن يجرب طعم الحيوانات والزواحف الصحراوية متعجبا مما سيحدث عند شوائها، فيقول: «بعد أن ذبحت هذه الزواحف ورميت أحشاؤها ورؤوسها، وضعت فوق شبكة من حديد لكي تشوى في النار، فتعجبت من شيء لم أصدق، لقد كانت هذه الزواحف تتحرك وتتلوى في مكانها»<sup>2</sup>، ولقد كانت المتعة في تتبع آثار الهوام وصيدها وشويها وأكلها، أشبه بالصراع للبقاء على قيد الحياة فيقول: «فهمت باحثا عن سقنقور سمين. تتبعته أثره ولكنني في كثير من المرات أهدى إلى اللأشياء. بعد عناء حصلت على سقنقورين، أحدهما ذكر والآخر أنثى. فكرت في ذبحهما، عثرت على قور بيض النعام، أمسكت قشرتين وأحدتتهما ببعض حتى صارتا حادتين، وضعت السقنقور في كفي وضممت عليه بأصابعي الأربعة، أما رأسه فقد ثبته بإبهامي، ثم مررت على رقبة قشرة بيض النعام الحادة، فخرج منها دم أحمر قاتم، هكذا فعل مختار ورفاقه، أفرغت أحشائه من جسده، وقذفت بها بعيدا. ثم فكرت في إشعال النار بالطريقة البدائية»<sup>3</sup>، وتعددت الحيوانات في الصحراء مما جعل "بقيّ" يواصل البحث عن مذاق آخر ليشويه ويغير المذاق الذي تعود عليه، فيقول: «أمضيت أياما وليالي وليس لي طعام إلا بنات الصحراء، ذهب عني التفرز ولكن نفسي تافت إلى أن تجرب طعاما آخر... فخرجت لي من الجحور الأفاعي والجرباع والضباب والحرباوات، والورلان، والعقارب...»<sup>4</sup>، فالحياة في الصحراء تعتبر صعبة وتحتاج إلى قدر كبير من المرونة والتكيف للبقاء على قيد الحياة.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 110.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 110.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 115-116.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 117.

☒ الأعياد والمناسبات: عادة ما تكون الأعياد والمناسبات فرصة للتجمع مع الأهل والأصدقاء، ولقد وظفها الكاتب فيقول في وصفه لطريقة احتفالهم بزفاف أحدهم: «ذات صباح سمعنا صوت مزمار ودف، فأخبرنا مختار أن هذا إشهار لعرس، إنها "الزرنبة" وهي أحد تقاليدهم في الأفراح، فتشوقت لرؤيتها، فلما وصلنا إليها وجدنا الناس متجمهرة في ساحة، بشكل دائرة، وسطها خيل ترقص، وفوق الخيل فرسان بعمائم بيضاء يحملون أسلحة لا تصلح للصيد ولا للحرب كانوا يملؤونها بالبارود ويطلقونه فيحدث دويًا هائلًا وكان الواحد فيهم كلما أطلق دويًا، فرح بنفسه فيعبر عن ذلك بحركة بهلوانية... وحتى العرق الفواح...»<sup>1</sup>، عند المضي وجد بقيّ بنات يتسلين وهو في حيرة مما يرى ويسمع منهن فيقول: «في الطريق وجدت بضع بنات يتسلين بأهازيج يرددنها وهن يحملن عراجين ربطت بها خيوط كثيرة. كن يقلن «ارفع لوكاس يا رب عن هادي الناس يا رب»»<sup>2</sup>، فهذه الكلمات يرددها الأطفال الصغار في وادي سوف، منذ اليوم الأول من شهر محرم بطرق أبواب المنازل، حيث تمنحهم العائلات أشرطة نسيجية مختلفة الألوان أو قطع قماشية يتم ربطها في العرجون وينقلون من منزل لآخر وهم يرددونها...، إن الاحتفالات في الصحراء مميزة للغاية ولها طقوسها الخاصة تعبر عن شخصية الفرد الصحراوي وثقافته وهويته الصحراوية...

#### د- الموروث اللغوي

☒ الأمثال: تعد الأمثال من العناصر الثقافية الهامة في حياة الصحراويين، فهي تنقل القيم والمبادئ التي تساعد الناس في التعامل مع بعضهم البعض والتأقلم مع البيئة القاسية وغالبًا ما تكون على شكل قواعد ومواعظ لتحث الفرد على الصبر والثبات. ونجد الروائي "عبد الرشيد هميسي" قد وظف المثل الذي يقول: «من شب على شيء شاب عليه»<sup>3</sup>، ويدل هذا المثل على من تعود على شيء أو تعلم شيئًا في شبابه المبكر، أكمل حياته بنفس العادات، أو كما يقال: الطبع يغلب التطبع. لذا فإن تربية النشء وتعليمهم وتدريبهم على القيام بالأعمال الصالحة، والأخلاق والسنن الحميدة، هو أكثر مظهر من مظاهر الحياة

\* الزرنبة: مستلهم من آلة "الصرناية" الموسيقية ذات الاصل الفارسي، وتتكون الفرقة من عازفي الآلة النفخية والآلات

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقيّ بن يقظان، ص 77-78.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 87.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 99.

ينطبق عليه هذا المثل، والنتيجة أن يسعد المرء في دنياه ويأمن شقاءه، وينال رضى ربه في الآخرة.

☒ اللهجة (السوفية): عَرَفَهَا "تور الدين مهري" بقوله هي: «لهجة قريبة من لغة التخاطب عند العرب، وذلك أن أغلب ألفاظها وتراكيبها جاءت وفق سنن العرب في كلامها، ولكنها تختلف عن اللغة العربية التي صنعها النحاة، خصوصا في المستويين الصرفي والنحوي»<sup>1</sup>، ومن الكلمات السوفية الواردة في الرواية عديدة نذكر منها: «صُلَّاح البلاد»<sup>2</sup> ويقصد صلحاء البلاد أي الدراويش، أيضا «الصَّبَّاط»<sup>3</sup> ويطلق اسم «الصَّبَّاط في اللهجة على البهو الذي لا يكون له باب، يتخذة الناس قديما للجلوس والراحة وغير ذلك شتاء وصيفا، وتستحسن الراحة شتاء في الصباط القبلاوي، للتدفئة، أما في الصيف، فالصباط الظهراوي هو المستحسن، لأنه أبعد عن الشمس، ومن ثم فهو المفضل للجلوس والراحة. ومعنى الصَّبَّاط في العربية يشبه معناه في اللهجة، فهو سقيفة بين دارين... ولأن لهجو سوف تفضل التفخيم، فهي تنطق السين صادًا»<sup>4</sup>، كذلك نجد «لُوكَّاس»<sup>5</sup> فهي من الوكس أي الخسارة والمصائب والبلايا، «الوزوارة»<sup>6</sup> هي مشروب شعبي طعمه حامض يصنع من أعشاب وحشائش كثيرة، «نعمسيدي»<sup>7</sup> أصلها "نعم سيدي" أو "نعم السيد" وهي لفظة تقال لإمام المسجد تقديرا واحتراما له، وامتنالا لأوامره ونواهيته.

إن تصوير الكاتب "عبد الرشيد هميسي" لحاسي خليفة في روايته، والتفصيل في عاداتهم وتقاليدهم وطبائعهم، يدل على اعتزازه بهويته وبانتمائه لها ومحاولته لإبراز جمالياتها ومحاسنها...

<sup>1</sup> نور الدين مهري، معجم الفصح في لهجة وادي سوف، دار سامي، الوادي، الجزائر، ط1، 2016م، ص 11.

<sup>2</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 79.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>4</sup> نور الدين مهري، معجم الفصح في لهجة وادي سوف، ص 121.

<sup>5</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 87.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 91.

## 2. عالم الحيوان:

تحضر الحيوانات الصحراوية بقوة في رواية "الملحد" فهي تشكل عنصرا مركزيا في سيرورة السرد وتشكيل الأحداث، ومن الحيوانات التي تم ذكرها في الرواية (السقنقور، الأفعى، الجمل، العقرب، الخنفساء، الضب، العنكبوت، النمل، الإبل، الحرياء، الجربوع...)، ولقد تعرف "بقي" على آثار بعضها فيقول: «وأراني أثر الوزغ والضب والعنكبوت وأراني آثار بعض الطيور، وأثر الإبل الذي كان كبيرا ومفطحا ويكاد يكون دائرة مستوية ملفوفة إلى نصفين»<sup>1</sup>، ووصف بعضها في كقوله: «أمسكت جربوعا وتأملمته، كان لطيفا، شعره رمادي، عيناه سوداء لا بياض فيها، له شعيرات طويلة على جانبي أنفه يداه قصيرتان جدا، على عكس قدميه الطويلتين، وذيله الذي طوله ضعف جسده»<sup>2</sup>، وفيما يلي أهم الحيوانات التي ركزت عليها الرواية:

☒ السقنقور: يُلقب بسمكة الرمال، هو نوع من الزواحف يسميها أهل الصحراء بالشرشمان أو بنات الرمل، وتختبئ في الرمال عن طريق الغطس، يقول "بقي" واصفا أثرها: «وأثر السقنقور لم يكن ملتويا ولا أملس وعلى جانبه نقط مسننة»<sup>3</sup>، وفي قول آخر: «لما عثر على أثر سقنقور قال لي: «إن العرب تسميها بنات الرمل» ثم تتبعنا الأثر إلى أن انتهى بنا فأدخل مختار يده عند نهاية ذلك الأثر فأخرج سقنقورا أصفر، على عرض جسده خطوط بنية وقال «لي هذا عبادي»، أي أنه ذكر السقنقور كان يتلوى يريد الفرار...، دسّ هذا السقنقور في إناء به رمل، فغطس هاربا من الانكشاف»<sup>4</sup>، ودلالة توظيفه كرمز للصبر والتحمل والقدرة على العيش في ظروف قاسية.

☒ الجمل: يعد الجمل من فصيلة الثدييات ويتميز بسيقانه الطويلة، ويشتهر بامتلاكه حُدة على ظهره تخزن الدهون وتسمى السنام، ويتكيف الجمل مع البيئة الصحراوية من خلال استخدامه للدهون المخزنة في سنامه عندما لا يتوفر الماء والغذاء...، فيقول "بقي" في وصفه: «عندما استيقظت ذات صباح وجدت قربي جملا...بقي معي هذا الجمل أياما...كنت أتعرق وأنا في الظل، وهو لم يكن يتعرق وهو في الحرور، قوائمه طويلة

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 107-108.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 118.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 107-108.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 109.

لكي تبعد جسده عن وهج الرمل، ولكي تقيه من الاحتكاك بالنباتات الشوكية، وترفع وجهه عاليا كي لا يؤذيه الرمل المنثور بالرياح، أذناه صغيرتان كسيتا شعرا كثيفا كي لا يدخلها الرمل، وهو يستطيع إطباقها متى شاء، وفتحتا أنفه أيضا فيهما شعر، ويستطيع إطباقهما بسهولة، أما عينيه فعليهما رمشان، رمض غليظ الشعر وآخر أقل منه غلظة حماية لها من الريح، رقبته طويلة يستطيع بها أكل ما في الأشجار العالية... شفته العليا مشقوقة لكي يستطيع أكل النباتات الشوكية دون أن تؤذيه...»<sup>1</sup>، فلجمال قدرة هائلة على تحمل مشقات الصحراء وصعابها، لذا تلقب بسفينة الصحراء، ولقد ذكر في القرآن الكريم في عدة مواضع منها، قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ﴾<sup>2</sup>، فالإبل رمز للرحلات والتنقل والحرية أو إلى استكشاف الصحراء، ويمكن أن نقول أن توظيف الجمل في الرواية دلالة على الرفض، حيث أن الجمال عادة ما ترفض المكوث بالأماكن المضغوطة والمزدحمة، وتوظيفه في الرواية كرمز لشخصية ترفض القيود الاجتماعية والتقاليد، وتسعى للخلاص من القيود والتحديات التي تواجهها في الحياة، وهذا حال بطلنا "بقي"، كذلك يمكن أن يدل على الصمود والقوة والصبر وتحمل ظروف الحياة القاسية، وبإسقاطها على روايتنا نجد البطل "بقي" مر بظروف قاسية يحاول الصمود في وجهها للبقاء على قيد الحياة.

☒ العنكبوت: هي حشرة تنتمي إلى عائلة العناكب، ذات الثمانية أرجل وجسم مقسم إلى رأس وصدر وبطن، تتميز بقدرتها على صنع الخيوط الرقيقة والقوية التي تستخدم لصيد الفرائس، وللعناكب أنواع عدة منها السامة، ولقد خصها الله تعالى في قرآنه الكريم بسورة كاملة، ومجمل السورة هو مجاهدة الفتن؛ الحث على الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى الله تعالى وحمده، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ عَنكبوتٍ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَهْلَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنكبوتِ وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup>، وفي وصفها قال "بقي": «لما خرجت إحدى النملات تطلب رزقها ولم تدر أنها كانت رزقا لعنكبوت نصب شبكته ينتظر كرم الأقدار، علقت في شبكته... تبيّته فإذا له شكل منفر، له صدر وعجز منتفخان، ويكدان ينفصلان عن بعضهما البعض لولا الخصر الرفيع الذي توسطهما. يخرج من صدره وعجزه ثمانية أرجل لها شكل الهرم، رأسه في صدره وله نابان

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 127.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة الغاشية، الآية 17.

<sup>3</sup> القرآن الكريم، سورة العنكبوت، الآية 14.

معقوفان، لونه رمادي منقط بالسواد، جسده مشعر كله وكأنه غمس في قبضة شعر»<sup>1</sup>، وللعنكبوت دلالات عدة منها: الخوف والرغبة، حيث يشعر بعض الناس بالقلق والخوف منه، كذلك رمز للعزلة والانعزالية والتخفي، وأيضا هو رمز للحذر والحكمة في اتخاذ القرارات، وهو كذلك رمز للشر والخبث، وفي الرواية نجد في قول "بقي": «فتبين لي أن العنكبوت لئيم، وتحققت من لؤمه أكثر عندما وجدت عنكبوتا آخر يأكل أبناءه كلما جاع، فلا رحمة في العنكبوت ولا ثقة»<sup>2</sup>، فالعبارة تدل على أن العناكب لئيمة، ويمكن أن تدل العنكبوت أيضا على تشابك الأحداث وتناغمها، أو على شعور "بقي" بالخوف الملازم له وهو تائه في الصحراء وحيدا معزولا عن بقية البشر.

☒ النمل: أحد أنواع الحشرات صغيرة الحجم، يعد النمل من أرقى الأنظمة الحشرية من حيث التنظيم والتواصل والمثابرة والجدية والتخطيط، ولقد ذكرها الله تعالى في قرآنه الكريم وخصها بسورة كاملة، فيقول تعالى: ﴿حتى إذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾<sup>3</sup>، فالقرآن أشار إلى ذكاء النمل وقدرته على المحاكمة العقلية والفكرية ومواجهة الأخطار، وفي وصف "بقي" لتفاصيل النمل يقول: «أخذت معي نملة لكي أتمكن من رؤية جسدها... لها ستة أرجل نحيلة، كأنها من أعواد الثقاب بل هي أدق، ولها رأس يكاد يكون بيضويا في أعلاه نقطتان سوداوان هما عيناها، وعلى الجانبين شعرتان نحيلتان جدا وهما قرنا استشعار وتحت العينين فم له فكان بارزان. أما مؤخرتها فهي أكبر ما في جسدها، وهي سوداء كأنها تخزن فيها فحما، وباقي جسدها لون أحمر مخلوط بالبني يشبه لون أحد أنواع العسل»<sup>4</sup>، وللنمل عدة دلالات منها، يمز في العديد من الحضارات والثقافات إلى العمل الجماعي والتعاون، فهو يعيش ضمن مجموعة كبيرة ويعمل بجد لصالح هذه المجموعة، فقد يرمز إلى أهمية التعاون والعمل الجماعي، وكذلك للصبر والاجتهاد، وعموما فتوظيف النمل في الرواية قد يدل على الحافز والدافع الذي يحتاجه "بقي" ليتجاوز العقبات التي تحيط به وكذلك لوصوله إلى حقيقة الوجود.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 123.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 124.

<sup>3</sup> القرآن الكريم، سورة النمل، الآية 18.

<sup>4</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 121.

☒ **العقرب:** يعتبر حشرة خطيرة جداً، حيث يمتلك لدغة سامة يستخدمها للدفاع عن نفسه، وفي وصفه يقول "بقي": «عند الصباح أيقظتني أشعة الشمس، فوجدت على قميصي حشرة صفراء لها مقرضان، وذيل كأنه ركب من أنامل صفراء نحيلة ينتهي بإبرة معقوفة بنية، فهربت بغريزة الخوف، وقال لي مختار فيما بعد: إنها عقرب سام»<sup>1</sup>، وقوله: «أما العقرب فإنه أربع فقط متقاربة يقابلها أربع نقط أخرى وهكذا حتى يتوازي خطان من النقط الأربعة. ويشبه أثرها أثر الخنفساء»<sup>2</sup>، وللعقرب دلالات عالمية وجدت في كل الحضارات والثقافات نذكر منها: الخطر والشر، الإثارة والرعب، الخفاء والمكر والغدر، الحماية والدفاع، الإدراك والحذر، العلم والحكمة، القوة والصمود، الثبات والصبر، الجرأة والشجاعة، ويتميز بالقدرة على البقاء حتى في البيئات الصعبة ويتكيف بسهولة مع البيئات المختلفة، وفي توظيفه في الرواية دلالة على قدرة "بقي" على البقاء في الصحراء وتكيفه مع الظروف الصعبة.

☒ **الأفعى:** تعد الأفعى من الحيوانات السامة والخطيرة، وهي من الزواحف، تتميز بجسمها الطويل الذي يمكن أن يصل إلى عدة أمتار، كذلك بمرونتها وبشكلها النحيف والمسطح مع القشرة الخارجية الملساء والملونة بالألوان المختلفة الأسود والبني والأصفر والأحمر، فيقول "بقي" في وصفها: «أما أنا ومختار فقد ذهبنا نقتفي آثار الهوام على الأرض، وقد أراني مختار أنواعا عدة من الآثار، أثر الأفعى كان خطأ ملتويا وأملس، عرضه قدر عرض إصبعين مجتمعين»<sup>3</sup>، «خرجت له أفعى مصفرة منقطة باللون البني الفاتح لها قرنان صغيران في أعلى رأسها، ثم بدأت في الزحف، كانت تزحف»<sup>4</sup>، وتختلف دلالة الأفعى من ثقافة لأخرى، ففي الثقافة المصرية القديمة ترمز للانبعاث والخلود وهذا لتغيير جلده بشكل دوري، وفي الحضارة السومرية رمز للشر والذكاء، وفي الحضارة اليونانية رمز للبعث والشفاء، وأيضا هي رمز للقوة بسبب حركتها الملتوية التي تمكّنها من أن تلتف على غريمها لتخنقه، وعلى العموم فتوظيف الأفعى في روايتنا يدل على الخطر وتجسد قسوة الصحراء وما يعانیه البطل "بقي" فيها.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 71.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 107-108.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 109-110.

☒ الحرباء: الحرباء هي حيوان زاحف تنتمي لعائلة السحالي تتمتع بقدرة عالية في تغيير لونها بسرعة عالية، إلى الألوان التي تتطابق مع البيئة المحيطة بها، فيصفها "بقي" قائلاً: «انتبهت فإذا بحرباء تطيل لسانها بقدر طولها أو أكثر، ثم تعيده إلى فمها وقد علق العنكبوت، فتمضغه ببطء عجوز. لون الحرباء كان ترابيا، ظهرها مسنن، لها أربع قوائم، جلدها منقط كجلد التمساح، تأملت عيناها الجاحظتين فإذا هما تدوران في غير اتساق، فقد تكون اليمنى تنظر إلى الخلف وفي الآن نفسه تكون اليسرى تنظر إلى الأمام. طرف ذيلها له شكل حلزون. لقطت العناكب في سرعة خاطفة، فظننت أنها سريعة، ولكنها لما غادرت تبين لي أنها بطيئة جدا، فهي أسرع من السلحفاة قليلا، تبعتها، فرأيتها تغير لونها فتأخذ لون الشيء الذي تمشي فوقه»<sup>1</sup>، فتوظيف الكاتب للحرباء دلالة على تغير وتقلب حال البطل من حالة إلى أخرى.

### 3. عالم النبات:

احتضنت الصحراء أشجارا ونباتات معينة بعضها يتحمل البيئة الصحراوية الجافة من شدة وحرارة وبرودة وقلة المياه، فنبت طول العام وبعضها ينبت إبان الربيع بعد هطول الأمطار. ولقد اهتم الكاتب في رواية "الملحد" بنباتات صحراء حاسي خليفة، فوصفها وبحث في منافعها وخصائصها.

النخلة: إن النخلة جزء من الطبيعة الصحراوية، فلا يمكن لها أن تثمر في مكان غير الصحراء، وقد رافقت البدوي في بيته، عاش تحتها وأكل من رطبها وخبز تمرها واستظل بظلها، وهي الشجرة المفضلة لدى العرب، ولقد ذكرت في القرآن الكريم في عدة مواضع، يقول تعالى: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾<sup>2</sup>، ويقول "بقي" في وصفها لها: «طالعنا نخيل (حاسي خليفة) بلونه الأخضر الداكن، وبطوله الشاهق وكأنه يستطلع القادمين ليخبر البلدة بقدمهم»<sup>3</sup>، فهي «رمز التسامي، وباعتباره ظلا وافرا يقيه لهيب شمس

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 124.

<sup>2</sup> القرآن الكريم، سورة ق، الآية 10.

<sup>3</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 30.

الصحراء وطعاما سائغا»<sup>1</sup>، فالنخلة تدل على الشموخ والرفعة والعتاء، وكذلك على البقاء وطول العهد والتأقلم مع الظروف الصعبة.

كذلك يصف "بقي" بساتين أهل الصحراء وطريقة سقيهم لها، فيقول: «أما بساتينهم فقد كانت متشابهة: نخيل، وزروع تعولهم، وآلة سقي تقليدية مجهدة اسمها (لوريا) وكانوا يتحايلون على الطبيعة المجذبة بأن يحفروا في الأرض ساحة بعمق المترين، ويغرسوا فيها نخيلهم لكي يكون الماء أقرب إليها فلا يضطرون إلى السقي الدائم»<sup>2</sup>، فهي عادة ما تكون متكوّنة من أشجار النخيل والأشجار الأخرى التي تنمو في الظروف الجافة، وتغطي مساحات واسعة من الصحراء، وبهته الطريقة تكون هذه البساتين مصدراً رئيسياً للغذاء والمياه لسكان الصحراء.

كما نجده يصف بعض أنواع النباتات فيقول: «تفرقت فيه نباتات بلون أخضر مغبر، سمى لي مختار بعضها: الحلفاء ذات اللون الأصفر والأخضر، وشجرة الزيتا التي سنقتلعها لأن النار المتقدة من حطبها قوية دائمة، والشوكية ذات الأوراق الإبرية الواخزة والعضيدة والحارة، وشيحة الإبل، وفول الجمل، والعقافية والطازية والبشنة والنتين، والبي وبورقية وذويل الفار...»<sup>3</sup>، وقوله أيضا: «وجدت نبتة الترتوث عندما كنت أصطاد بنات الصحراء، طوله شبر ونصف، لونه بين الأحمر والبنفسجي، شكله يشبه الهراوة، حفرت علا ساقه حتى وصلت إلى أصله، اقتلعت ثم شويته وأكلته، طعمه يشبه طعم اللحم، وأكلت العضيد أيضا والحميض وأحيانا أجد القيز أو العقافية أو الطازية فأكل...»<sup>4</sup>.

ويقول في خصائصها: «نباتات الصحراء لا تمتلك أوراقا مسطحة مبسوطة لأن ذلك لا يتناسب مع شح الماء، فالأوراق المسطحة المبسوطة تضيع الماء بالنتح، لذلك كانت الأوراق منكمشة أو ملفوفة أو إبرية كي لا يضيع الماء الشحيح، أما عروقها فقد كانت طويلة وغائرة في الأرض تطلب الماء الهارب، ولاحظت أن النباتات كانت متباعدة، فأدركت أن سبب ذلك قلة رطوبة الجو»<sup>5</sup>، فرغم ندرة النباتات الصحراوية إلا أنها تتمتع بخصائص

<sup>1</sup> بوقفة صبرينة، تمثلات الصحراء في الشعر الشعبي الجزائري (قراءة في قصيدة حيزية لابن قيطون)، ص 885.

<sup>2</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 73.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 107.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 118.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 125.

مهمة ومميزة تساعدها على البقاء في بيئة الصحراء القاسية، حيث تتحمل النباتات الصحراوية الجفاف والحرارة الشديدة ونقص المياه والتربة القلوية والملوحة، وتتميز هذه النباتات بصلابة الأوراق والجذور وقدرتها على تخزين الماء.

إن توظيف الكاتب للصحراء بمفرداتها وصورها وطبيعتها والحياة الاجتماعية فيها، لم يوردها بشكل عشوائي أو صدفة وإنما عن قصدية تامة توحى بإيحاءات ودلالات عميقة، فالرواية استمدت مشاهدتها وجماليتها من طبيعة الصحراء.

### ثالثاً: الأبعاد العامة للصحراء.

تمثل الصحراء مكاناً قاحلاً يصعب العيش فيه، حيث يواجه فيها الإنسان تحديات قاسية، وفي أبعادها «تكمن قيم الطبيعة وسحرها، فهي فضاء بكثبان وفضاء بواحات، فضاء بسماوات وأفق منطبتين، فضاء بألوان قوس قزح، فضاء بجفاف ومطر وخيول وجمال، وعيون ماء، فضاء متصل اتصالاً مباشراً بالسماء فكانت الأديان، وفضاء يعطي لأجزائه تمازجاً كلياً في لوحة كونية لا حد لامتدادها»<sup>1</sup>، يمكن تقسيم أبعادها العامة إلى قسمين الأول يضم القيم الإيجابية والقسم الثاني يضم القيم السلبية.

#### 1. قيم إيجابية:

##### أ- الصحراء مصدر لجمالية نادرة:

تتميز الصحراء بجمالية نادرة وفريدة من نوعها، تضم الطبيعة الخلابة والمناظر الرائعة والألوان المذهلة والأشكال والأنماط الخاصة بالرمال والصخور، وهي تضمن حياة برية متنوعة وفريدة، وهذا يجذب العديد من الأشخاص إلى زيارة الصحراء والاستمتاع بجمالها وروعيتها.

كما أن الصحراء تتميز بسماوات صافية ونجوم ساطعة في الليل، في قوله: «كان الليل قد نشر سواده في الأرض وفي السماء، ..أراقب زخم النجوم، كأن أحدا رمى السماء بنثر

<sup>1</sup> ياسين النصير، الرواية والمكان (2)، الموسوعة الصغيرة (195)، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (د.ط)، 1986م، ص 119.

مضيء»<sup>1</sup>، وأيضاً قوله: «لما غشينا الليل رغبت أن أسرح قدمي، لأكتشف الصحراء ليلاً ولكي أتمتع بالصحراء وبكواكبها الواضحة وحدي»<sup>2</sup>، فجمال مناظرها وشاعتها جعلها مكاناً يستحق الزيارة والاستكشاف، بالإضافة إلى وصفه لرمالها الناعمة الذهبية فيقول: «استلقيت على الرمل الناعم مسرحاً بصري نحو السماء أتعم بالقمر الساهر مع جميع البشر، المؤنس لكل مسافر»<sup>3</sup>، كذلك في قوله: «أنهكتنا الطريق الطويلة، فكأن لا نهاية لها، تمددت على مقعد السيارة وتثاءبت، وسرحت عيني في بعيد السماء فإذا هي زرقاء لا يعكر زرقتها إلا غيمات متنافرات يتمتعن بنور الشمس ودفئها. أما الأرض فكانت رملاً أصفر يتكاثر بعضه على بعض، نقياً يغريك بالعبث به وبالاستلقاء عليه»<sup>4</sup>، وقوله: «عندما حل الليل أشرق القمر فأضاء الأمكنة بضوئه الفضي، وانرسمت وراء جذوع نخل بستان مختار ظلال سوداء ممتدة وكأنها لا ترضى أن تقع عليه فضاء القمر»<sup>5</sup>، وأيضاً قوله: «لأنني كنت هائماً فيما يحيط بي من جمال»<sup>6</sup>، وخلاصة القول فالصحراء تتميز بجمال أخذ يسحر كل زائريها، فسمائها الصافية ليلاً تجعلك تشاهد أجمل المناظر الليلية من نجوم وكواكب سابحة في فلكها، وكذلك رمالها الذهبية الناعمة.

### ب- الهدوء والسكينة والتأمل:

تمثل الصحراء مكاناً بعيداً عن الحياة المدنية وضجيجها، فالصحراء فضاء «بيث في النفوس البهجة والسكينة وراحة النفس وخصوبة الفكر والخيال أحياناً أخرى»<sup>7</sup>، وتجلّى ذلك في قول "بقي": «كانت الصحراء أوسع وأنقى وأهدأ مما تخيلت»<sup>8</sup>، وقوله أيضاً: «أما السلاح فلم أتكلف في صنعه لأنني لم أشعر أن هناك شيئاً يهددني»<sup>9</sup>، وتعتبر الصحراء

<sup>1</sup> عبد الرّشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 108-109.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 110.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 71.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 101.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 111.

<sup>7</sup> المسعود جواد، كرونوتوبيا الصحراء وتشكل الشخصية الروائية، مخبر تحليل الخطاب، مجلة الخطاب، (مج) 15،

(عد) 2، 2020م، ص 155.

<sup>8</sup> عبد الرّشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 107.

<sup>9</sup> المصدر نفسه، ص 117.

ملاذا لمن يفضلون العزلة والتفكير والتأمل كقول "بقي": «لقد عزمت على تقصي خبر كل الهوام والزواحف التي في الصحراء، ففعل أسراراً خطيرة وراءها»<sup>1</sup>، وفي قوله: «أمسكت جربوعاً تأملته»<sup>2</sup>، «آخر شيء تأملته هو نفسي!»<sup>3</sup>، فالصحراء مكان لعزلة الفرد عن العالم الخارجي، حيث يمكن للشخص التفكير والتأمل.

## 2. قيم سلبية:

### أ- القفر والقحط والحر الشديد:

تتميز الصحراء بارتفاع درجة الحرارة وقلة الأمطار، مما يؤدي إلى جفاف المياه السطحية وصعوبة الوصول إلى المياه الجوفية، وبالتالي تصبح المياه المتاحة محدودة، يقول "بقي": «لكنني ارتبت عندما تذكرت أن ماء الشرب سيشتح والزاد سيقفل. وأني إن لم ألقهم هذا اليوم قد يخافون على أنفسهم الهلاك»<sup>4</sup>، وقوله: «جسدي كان منهكاً من المشي على الرمل، ومن مقاومة الرياح، ومن الجوع والعطش أيضاً»<sup>5</sup>، فالصحراء تمثل مكاناً قاحلاً وصعب المعيشة، حيث يواجه الناس فيها تحديات قاسية مثل العطش والجوع والحر، كما في قول "بقي": «حدقت في الشمس وقد كانت حارقة فلم أستطع أن أطيل النظر فيها»<sup>6</sup>، وقوله: «مهياً لمقاومة قساوة الصحراء، حرارتها وريحها وجديها ورمليها وصلعها»<sup>7</sup>، فالصحراء رمز للحياة القاسية والصمود.

### ب- التيه والضياع:

تعتبر الصحراء ذات طبيعة قاسية وصعبة، فهي متاهة معقدة يصعب الخروج منها، ويصعب تحديد الاتجاهات فيها، وهذا ما يؤدي بالفرد إلى الضياع والتيه. يقول "بقي": «فكرت: أي الاتجاهات أسلك؟ لم أتذكر أي شيء مررت عليه البارحة يذكرني باتجاه

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 119.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 118.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 128.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 111.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 112.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 90.

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 128.

الطريق»<sup>1</sup>، كذلك قوله: «تركّت الأسئلة مفتوحة كما الصحراء التي أنا ضائع فيها»<sup>2</sup>، فهنا ضياع "بقيّ" في عرض الصحراء وعدم قدرته على تحديد المكان والاتجاه الصحيح بسبب عدم وجود علامات ودلائل تساعد. وفي قول آخر له: «حولت بصري شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، فلم أر إلا الرمل المطير وكأن الحياة تحولت فجأة إلى رمل!»<sup>3</sup>، فالرمال تدل على إحساس "بقيّ" بالفراغ والوحدة التي تولد في نفسه شعوره بالتيه والضياع، كذلك إحساسه بالتخبط والعجز عن إيجاد الاتجاه الصحيح للعودة إلى جماعته، وهذا وُلد في نفسه شعوره باقتراب الموت المحتوم، كما جاء على لسانه: «أن تضيع في الصحراء لا يعني إلا شيئاً واحداً وهو أن الموت قادم إليك»<sup>4</sup>، وفي قوله: «في نفسي الضائعة»<sup>5</sup>، ففي هذا القول أيضاً دلالة على الحالة النفسية التي كان يعيشها "بقيّ" وهو تائه في الصحراء، فدلالة التيه والضياع من الناحية المكانية تدل على التيه والضياع المكاني وعدم تحديد دقيق للمواقع والمسافات، ومن الناحية النفسية فهي تدل عن الشعور بالضياع والتشتت الداخلي الذي يعاني منه البطل.

وفي الأخير نستطيع القول أن الصحراء تمثل في الكثير من الأحيان الوحدة والصمت، وهل ميدان يتعلم فيه الإنسان كيفية التعامل مع العزلة، ويعتبر عادة مكاناً يبعث التفكير والتأمل وهي محل الهدوء والسكينة، وساحة للخيال والتحدي، وقد تكون الصحراء أيضاً مكاناً للأحلام والأوهام، ومنتفسا للتححرر من القيود الاجتماعية والثقافية، وهي موطن الجمال، وقد تمثل أيضاً موطن الخطر والصعوبات.

### ج- الاتساع واللانهاية:

الصحراء فضاء واسع رهيب، يشعر الإنسان في مواجهته بالخوف من هذا الاتساع الذي لا نهاية له، والفراغ يحاصره من كل مكان ويبعث في نفسه الخوف من المجهول الذي قد يباغته بمفاجأة مميتة في كل مرة. ويظهر هذا الاتساع واللانهاية في الرواية من خلال

<sup>1</sup> عبد الرّشيد هميسي، مصدر سابق، ص 112.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 113.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 111.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 117.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 126.

قول "بقي": «كانت الصحراء أوسع... مما تخيلت»<sup>1</sup>، وقوله: «سرحت بصري فإذا الصحراء لا نهاية لها»<sup>2</sup>، وقوله أيضا: «أنهكتنا الطريق الطويلة، فكان لا نهاية لها»<sup>3</sup>، فلقد تميزت الصحراء بشساعتها وبأراضيها الواسعة وبالتالي تبدو لنا بامتداد لا نهائي، وفي قوله: «فقدتني قدماي إلى وسيع الصحراء، إلى اللاشيء»<sup>4</sup>، فهي تدل عن الانفتاح وعدم الحدود...، وقوله: «يقدم فضاؤها الفاتن، وانفتاحها اللانهائي حرية مطلقة، في الوقت التي تنذر فيه رمالها المحرقة وتربتها الجذباء بموت وشيك»<sup>5</sup>، كما في قوله: «إن المشي وحيدا في الصحراء مخيف، لكن إن تجاسرت ستشعر بأن حرية ما تعمر جسدك، وستنطلق هائما لا شيء يوقفك»<sup>6</sup>، فالصحراء يمكن أن تكون رمزًا للحرية والتحرر والاستقلالية.

## رابعاً: الأبعاد الدلالية للفضاء الصحراوي.

### 1. البعد السياحي:

تعد الصحراء منذ القديم محط أنظار الكثيرين، وذلك من خلال بيئتها الطبيعية الخلابة، وأيضاً بفضل نمط معيشة الإنسان فيها، ولقد انطلقت السياحة في الصحراء متأخرة مقارنة بالمقاصد السياحية الأخرى، كالسياحة الشاطئية أو الجبلية مثلاً، ولعل من أهم أسباب ذلك نقص البنى التحتية من جهة، والمخاطر الناتجة عن الصحراء من جهة أخرى.

وقبل الغوص في تحليلنا للبعد السياحي للفضاء الصحراوي في رواية الملحد، نتطرق أولاً إلى تعريف السياحة بشكل عام ثم السياحة الصحراوية بشكل خاص.

تعددت تعاريف السياحة وفقاً لآراء المهتمين بدراسة طبيعتها ومكوناتها وجوانبها، ووفقاً لآراء المنظمات العالمية والدولية المهتمة بالسياحة الدولية.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 107.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 69.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 112.

<sup>5</sup> بطرس الحلاق وآخرون، شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، (تر): نهى أبو سديرة وعماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014م، ص 77.

<sup>6</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 111.

ومن بين التعريفات تعريف العالم الألماني "جويير فروبلير" الذي يرى السياحة «ظاهرة من ظواهر العصر التي تنبثق من الحاجة المتزايدة إلى الراحة والتغيير وتساعد على الإحساس بجمال الطبيعة وبالراحة والبهجة مع الشعور بالمتعة، وذلك بالإقامة في المناطق لها طبيعتها الخاصة والخلابة»<sup>1</sup>.

كما عرفتها "المنظمة العالمية للسياحة" بأنها: «مجموعة من النشاطات التي يقوم بها أشخاص مثل نشاط السفر والإقامة في أماكن بعيدة أو خارج البيئة الاعتيادية التي يعيشون بها لمدة لا تزيد عن سنة متتالية وذلك بهدف التسلية أو العمل»<sup>2</sup>.

فالسياحة هي انتقال الشخص من محل إقامته الدائم إلى أماكن إقامة مؤقتة لأسباب مختلفة قد تكون ترفيهية أو تجارية أو دراسية أو دينية...

أما بالنسبة لمفهوم السياحة الصحراوية، فعرفت على أنها: «السياحة المكرسة لاكتشاف الصحراء وتستخدم فيها الواحات كنقطة للانطلاق وللوصول»<sup>3</sup>.

وفي تعريف آخر: «هي نوع من أنواع السياحة البيئية أو الطبيعية، مجالها الصحراء بما فيها من مظاهر طبيعية المتمثلة في تجمعات الكثبان الرملية والجبال والأودية والواحات الطبيعية، ومن مظاهر بشرية متمثلة في أسلوب حياة وثقافة الشعوب الصحراوية المتناغمة والمنسجمة تماما مع طبيعة الصحراء، لتشكل في تفاعلها الطبيعي والبشري نمط من أنماط الحياة المألوفة في المدن والأرياف...»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> خالد بن عبد الرحمن، الإعلام السياحي وتنمية السياحة الوطنية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص 13.

<sup>2</sup> مساوي مباركة، الخدمات السياحية والفندقية وتأثيرها على سلوك المستهلك-دراسة حالة مجموعة من الفنادق لولاية "مستغانم"-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تسويق دولي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2011م/2012م، ص 50.

<sup>3</sup> عدوكة عبد الوهاب، بديدة محمد الحافظ، دور التسويق السياحي في ترقية السياحة الصحراوية (دراسة حالة ولاية الوادي)، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي تخصص تسويق فندي وسياسي، قسم العلوم التجارية، جامعة حمة لخضر بالوادي، 2021م/2022م، ص 33.

<sup>4</sup> خليف مصطفى غرابيية، السياحة الصحراوية تنمية الصحراء في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2016م، ص 22.

من خلال التعاريف السابقة يمكن القول أن السياحة الصحراوية هي أحد أنماط السياحة التي ينتقل فيها السياح إلى مناطق صحراوية بهدف الاكتشاف وخوض تجارب جديدة والتمتع بمميزات المحيط الصحراوي (الطبيعية، التاريخية والأثرية، الثقافية والاجتماعية).

وتعتبر رواية الملحد من بين الروايات الجزائرية التي سيكون لها دور في الترويج للسياحة الصحراوية الجزائرية، وبالأخص السياحة في ولاية وادي سوف وتحديدا صحراء حاسي خليفة التي كانت مجهولة للعديد من الأشخاص، وهذا ليتعرفوا على جمالها ويتشوقوا لزيارتها من خلال أحداث هذه الرواية، كما جاء في تصريح الروائي "عبد الرشيد هميسي" من خلال إحدى منشوراته على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك حيث قال: «من الأشياء التي أفرحتني كثيرا عندما فازت روايتي بجائزة راشد بن حمد الشرقي للإبداع: أن أغلب أحداث الرواية وقعت في الجزائر وما أدراك ما الجزائر!، أن البيئة السوفية بكل تقاليدنا القديمة ماثلة في نص الرواية، أي أن القارئ العربي سيعرف أن هناك منطقة اسمها وادي سوف لها تقاليد خاصة ونكهة مميزة، وهذا شرف لي أن أعرف القارئ العربي بالبلد التي ربتني وربت أبنائي. إن بلدي وعشقي (حاسي خليفة) حاضرة بقوة في هذه الرواية، ويهمني جدا أن تتحول بلدي إلى مدينة سردية كما تحولت مدن كبرى على يد بعض الروائيين العالميين إلى مدن سردية...»<sup>1</sup>.

وقد تجلّى البعد السياحي للفضاء الصحراوي في رواية "الملحد بقي بن يقظان" في الفصل الثالث بحديثه عن مدينة حاسي خليفة ومقوماتها السياحية والفصل الرابع بحديثه عن صحراء حاسي خليفة وما تخبئه من أسرار، يقول الراوي «كنت أفكر فيما قاله لي مختار، فقد أخبرني أنه سيخرج مع نفر من أصحابه إلى عرض الصحراء سياحة، ودعاني إلى الخروج معه ووعدني أنني سأرى في عرض الصحراء أشياء ليست في البادية ولن أراها ما

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، تصريح مكتوب عبر صفحته الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك،

[https://www.facebook.com/permalink.php?story\\_fbid=3032731626818159&id=1000024405](https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=3032731626818159&id=1000024405)

.33367، 2020/02/27م.

عشت، إن لم أخرج معه في هذه السياحة...»<sup>1</sup> وهذا المقطع يمثل دعوة للسياحة الصحراوية وما تخفيه الصحراء من جمالٍ وسحرٍ وطبيعة خلابة. وما يلي مقومات السياحة الصحراوية الموجودة في الرواية:

#### ☒ المناطق الطبيعية:

بدأ الروائي "عبد الرشيد هميسي" الفصل الثالث لروايته بوصفه لطريق الصحراء الطويل ولزرققة وصفاء سمائها ورمالها الذهبية، حيث قال على لسان "ميرسو": «أنهكتنا الطريق الطويلة، فكأن لا نهاية لها، تمددت على مقعد السيارة وتشاءبت، وسرحت عيني في بعيد السماء فإذا هي زرقاء لا يعكر زرقتها إلا غيمات متناפרات يتمتعن بنور الشمس ودفئها. أما الأرض فكانت رملا أصفر يتكاثب بعضه على بعض، نقيا يغريك بالعبث به وبالاستلقاء عليه»<sup>2</sup>. كذلك وصفه لسماء الصحراء المضاءة بالنجوم في قوله: «كان الليل قد نشر سواده في الأرض وفي السماء،... أراقب زخم النجوم، كأن أحدا رمى السماء بنثار مضيء»<sup>3</sup>.

#### ☒ الأماكن الدينية:

في قوله: «أما المسجد فقد كان من جبس مطلي باللون الأبيض، له صمعتان قصيرتان تتوسطهما قبة كبيرة، وصومعة طويلة نأت عنهن قليلا، وفوق القبة هلال من حديد، أخبرنا أن اسمه "المسجد الكبير"»<sup>4</sup>، فهنا أخبرنا على طريقة بناء المساجد وهندسته المعمارية. وفي مقطع آخر وصفه للزاوية الموجودة في حاسي خليفة، في قوله: «وصلنا إلى بيت قرب بيته يسمونه الزاوية وكان من جبس، لا زخرفة فيه ولا زينة، به غرف شرقية كبيرة، يستقبل في هذه الزاوية زواره، الأصدقاء، والفقراء، وال دراويش، وعابري السبيل، والمستفتين، والمتخاصمين، والمستأنسين...»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 102.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 69.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 108-109.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 71.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 100.

إن سطوة المكان عند الروائي «واضحة فيبدو متأثراً ببعض الأماكن في الخارج مما ساهم هذا في ربط القارئ وإشراكه في عملية التأثير من خلال إثارة خياله بصورة فنية عن بعض الأماكن»<sup>1</sup>.

#### ☒ التنوع البشري:

والمتمثل في تنوع العادات والتقاليد واللباس وأسلوب الحياة وتعدد الثقافات، والتشابه العمراني في المساكن وهذا ملمح من ملامح البساطة، وتمثل ذلك في الرواية في قول "ميرسو": «أثناء الطريق تأملت بيوتهم المبنية بالجبس، حيطانها قصيرة، أسقف غرفهم قباب، أكثر جدرانها غير مدهونة، لونها بني من أثر سطوع الشمس المتكرر، وكأن الشمس امتصت بياض الجبس، ملمسها خشن وكثير منها مشقق، أبوابها من خشب رديء وهي مفتوحة لا تقفل أبداً وكأن هذه البادية تصالحت مع شطارها، لا يكاد بيت يخلو من نخلة تتوسط الحوش وكأنها سيدة مطاعة، أو هي خارج البيت تحرسه من الأعداء...»<sup>2</sup>.

فالروائي «يثيرنا ويمتعا جمالياً في استحضار أماكن جمالية تساعد في بلورة نص سياحي أو بالأحرى خطاب سياحي فريد ومتميز»<sup>3</sup>.

أما بالنسبة للمأكولات فقد وصف لنا خبزة الملة الأكلة المشهور في صحراء وادي سوف واللحم المشوي على الفحم في قوله: «عندها أخرج أحد القائمين على الطعام خبزة مستديرة من بين الفحم والرمل،...عندها أخبرني أحدهم بصوت خشن يثير الجوع في المعدة: إن هذه الخبزة تسمى خبزة (الملة) لأنها تمل في الرمل وأن الرمل لا يلتصق بها لأنه ساخن جداً، ثم ضرب الخبزة ضرباً خفيفاً ونفخ فيها جيداً بعد أن رشها بقطرات من الماء، ثم قسمها إلى قطع أربعة وناولني قطعة، شممت رائحة الشحمة والطماطم والبصل

<sup>1</sup> سارة دبله، الخطاب السياحي في الرواية الجزائرية -رواية ذاكرة الجسد ونسيان. com لأحلام مستغامي أنموذجاً-، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، تخصص لسانيات سياحية، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الآداب واللغة العربية، 2014م/2015م، ص 46.

<sup>2</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 75.

<sup>3</sup> سارة دبله، الخطاب السياحي في الرواية الجزائرية -رواية ذاكرة الجسد ونسيان. com لأحلام مستغامي أنموذجاً-، ص 47.

فانفتحت شهيتي أكثر، ذقتها... كانت هذه تجربتي الأولى مع خبزة الملة. بعد ذلك أكلنا اللحم المشوي على الحطب الزيتا حتى امتلأت بطوننا»<sup>1</sup>.

صور لنا الكاتب هذه الأكلة الصحراوية تصويراً مفصلاً ودقيقاً وكأنها حُضرت أمام أعيننا، إضافة إلى حديثه عن المشروبات ومنها: التاي، والوزوارة. وهذه كلها حوافز غير مباشرة لجذب السياح وتجريب كل ما هو غريب وغير معروف لدى الإنسان المدني.

#### ☒ التنوع البيولوجي:

تتمتع الصحراء بوجود نباتات وحيوانات وزواحف، وحشرات كيفها الخالق مع طبيعة الصحراء الجافة والحارة، مما يجذب السياح لرؤية هذه الأنواع من الحيوانات والنباتات، ففي هذا المقطع يصور لنا بستان البدوي وما يحتويه من خيرات متعددة، قوله: «في البستان نخل كثير، وخليط الروائح المنبعثة منه تنعش، البلح، القرع، والفلفل، والبطيخ، والغنب، والتفاح، والرمل المبلل»<sup>2</sup>. وفي قوله: «أمسكت جربوعاً وتأملمته، كان لطيفاً، شعره رمادي، عيناه سوداء لا بياض فيها، له شعيرات طويلة على جانبي أنفه يداه قصيرتان جداً، على عكس قدميه الطويلتين، وذيله الذي طوله ضعف جسده»<sup>3</sup>، هنا يصف لنا حيوان الجربوع المعروف بتواجده في الصحراء والذي يصطادونه ليكون وجبة صحراوية. وغيره من الحيوانات الصحراوية المعروفة مثل الخنفساء، الجمال، والعقارب، العناكب، السقنقور...

يمثل الفضاء الصحراوي في رواية "الملحد" بعداً سياحياً جذاباً، حيث تتضمن الأبعاد السياحية للفضاء الصحراوي في الرواية الاستكشاف الطبيعي والجغرافي للصحراء، وهذا من خلال وصف التضاريس الطبيعية والحياة الحيوانية والنباتية المتعددة في "حاسي خليفة"، كما يوضح المؤلف في روايته العادات والتقاليد لسكان المنطقة وأساليب الحياة التقليدية للبدو وما يتعلق بهم، وكذلك التجارب والمغامرات الفريدة التي يمكن للسياح الاستمتاع بها في هذه المنطقة الواسعة والجذابة.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 108.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 71.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 118.

## 2. البعد الديني:

يعد الإنسان أهم مخلوقات الله، فضله بالعقل، وميزه بالنطق، وخصه بالديانات السماوية، فكان الإنسان والدين، عنوانان لخطاب واحد، فالدين يجعل لوجود الإنسان قيمة وأهمية.

والإنسان «كائن متدين، فطر على التوحيد، لكن الفطرة تغيرت، والديانات تعددت، ومظاهر التدين تشعبت، وأشكال الإلحاد اتسعت، وكل ذلك مرده إلى أن الإنسان لم يستطع أن يعيش خواء دينيا؛ إذ ارتبط الدين بحياته، ومصيره، ببدايته، ونهايته، بفكره، وشعوره، بنفسه، وجسده، فالدين إذن هاجسه الأول، تترجمه الأقوال والسلوكات، وتثبته الطقوس والممارسات، لذلك الدين بالنسبة للإنسان نبض الحياة»<sup>1</sup>.

فمصطلح الدين من المصطلحات التي صعب شرحها سواء عند العرب أو الغرب ومن تعريفاته أنه: «مجموعة العقائد التي انعقدت عليها نفس الإنسان وارتبطت بها روحه، فلا ينفصل عنها، وإن اختلفت درجة منحه لها واعانته بها ورسوخه فيها»<sup>2</sup>، حيث شمل هذا التعريف علاقة الدين بالروح، والعقيدة التي هي ركن من أهم أركانه، والتمسك بالدين مهما كانت الظروف، دون تحديد لماهية الإله المتدين به، وبالتالي فهذا التعريف ينطبق على كل الديانات التي عرفها بنو البشر.

اهتمت الرواية العربية المعاصرة بالاشتغال على النص الديني بمختلف مصادره ومشاربه وذلك «بتوظيف نصوصه ومضامينه المختلفة، وجعلها آلية من آلياتها الإفهامية والاتصالية التي من شأنها الارتقاء إلى المتلقي كالنصوص القرآنية والتوراتية، والإنجيلية، بالإضافة إلى توظيف الحديث الشريف، والتراتيل الدينية، والفكر الديني، ولاسيما فكرة المخلص، والفكر الصوفي، وغيرها من الأفكار الدينية»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> صياد مليكة، المحضور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة أمين الزاوي آسيا جبار أنموذجاً، أطروحة دكتوراه تدخل ضمن متطلبات شهادة الدكتوراه تخصص النقد الجزائري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2018م/2019م، ص أ.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 49.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، (ص.ن).

فالصحراء من المواطن التي طالما استخدمها الكتاب الجزائريون كإطار لإبراز البعد الديني في أعمالهم الأدبية، وذلك لأن الصحراء تمثل العزلة والتي تحدث معها تجربة دينية متميزة، من خلال النبوءات والتأملات الروحانية والأسرار الخفية، وهذا ما يمثل عنصراً أساسياً في الثقافة الدينية الجزائرية. وبجانب ذلك، يمتد الفضاء الصحراوي على مساحات غير محدودة وهذا يعكس غموض الدين وقدسيته، مما يؤسس لتجربة فريدة ومعقدة في علاقة الإنسان بربه، ومن هنا تظهر أهمية الفضاء الصحراوي كتجسيد للبعد الديني في الرواية.

وتعتبر الأبعاد الدينية للفضاء الصحراوي في رواية "الملحد" محوراً رئيسياً في دراسة هذا النص، حيث تبرز العديد من الرموز والأشكال الدينية خلال الأحداث تؤثر في شخصية "بقي" بطل الرواية، فالفضاء الصحراوي يمثل الوحدة مع الله والنفس، فهو مكان الانعزال والتفكير والتأمل.

ومن أهم هذه الأشكال الدينية هي شخصية "سي لمين" إمام المسجد الكبير، التي تمثل الرمز الديني الرئيسي في الرواية، فهو يمثل الأب الروحي الذي يساعد البطل على فهم العالم والنفس، ويعينه على الطريق إلى الله والتقوى، ويمثل "سي لمين" أيضاً النموذج الصالح للحياة الروحية، الذي يتبع الطريق الواضح الممهّد للإيمان واليقين.

ونجد أيضاً ذكر للأماكن المقدسة مثل: "المسجد الكبير" فهو دار عبادة المسلمين، وهو مكان مقدس، وتقام فيه الصلوات الخمس المفروضة وغيرها من الصلوات، سمي مسجداً لأنه مكان السجود لله، وكلمه "مسجد" توحى بالدلالة الدينية للفظ "الصلوة" التي هي فريضة على كل مسلم ومسلمة، ونجد في الرواية أن كلمة "مسجد" ذكرت في أماكن مختلفة وهذا لأن الإسلام يفرض وظائفه الدينية على المسلمين، باعتبار "المسجد" قبلة يومية يؤمها الناس في أوقات محدده كأداء الصلوات وقراءة القرآن، وفضاء لتبادل الأفكار وتلقي العلوم، ومثال ذلك ما جاء على لسان "بقي": «أما المسجد فقد كان من جبس مطلي باللون الأبيض، له صمعتان قصيرتان تتوسطهما قبة كبيرة، وصومعة طويلة نأت عنهن قليلاً، وفوق القبة هلال من حديد، أخبرنا أن اسمه "المسجد الكبير"، لم يدخلنا إلى فناء المسجد الداخلي

ورضي لنا أن نرى الغرفة والباحة التي يتعلم فيها الأطفال القرآن، أراها إياها فإذا أصوات الأطفال مثل دوي النحل...»<sup>1</sup>.

بالإضافة إلى "الزاوية" فهي مكان للعبادة وأداء الطقوس الدينية والتضامن الاجتماعي، والاجتماع حول الفقهاء للأخذ من علومهم وأفكارهم...، قول "بقي": «وصلنا إلى بيت قرب بيته يسمونه الزاوية وكان من جبس، لا زخرفة فيه ولا زينة، به غرف شرقية كبيرة، يستقبل في هذه الزاوية زواره، الأصدقاء، والفقراء، والدرائش، وعابري السبيل، والمستفتين، والمتخاصمين، والمستأنسين...»<sup>2</sup>. إذن هما فضاءان للمعتقدات والعبادات التي تمارس فيهما الشعائر الإسلامية.

كذلك نلمح في الرواية أنّ الراوي استند على القرآن الكريم والقصص القرآني.

القران الكريم: وردت في الرواية آيات قرآنية وظفها "سي لمين" في حوارها مع "بقي" تلك الشخصية التي تبحث عن إجابة لأسئلة وجودية، ومن أمثلة ذلك ما يلي: «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها»<sup>3</sup>، وقوله أيضا: «(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا)»<sup>4</sup>، وفي موضع آخر: «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها»<sup>5</sup>، وأيضا قوله: «(والذين اهتدوا زادهم هدى)»<sup>6</sup> فهذه الآيات استشهد بها "سي لمين" كرد على سؤال "بقي" عن الأقدار. وقوله في موضع آخر: «في القرآن آية أحب أن أسمعك إياها فتلى بصوت هادئ: (من يجيب المضطر إذا دعاه)»<sup>7</sup> واستعماله لهذه الآية هو تذكير لـ "بقي" بأن يستعين ويتضرع بالدعاء لله عند الحاجة.

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 71-72.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 100.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 96.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>5</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>6</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 100.

القصص القرآني: كذلك نجد توظيف الروائي "عبد الرشيد هميسي" القصص القرآني الذي يمثل سردا حكايا جاء في القرآن الكريم يروي لنا أخبار الأولين، وهم أقوام عاشوا منذ القدم على هذه الأرض. فلقد جاءت قصة "بقي" مع "سي لمين" مشابهة نوعا ما لقصة "سيدنا موسى" مع "سيدنا الخضر" عليهما السلام، حيث لازم "بقي" "سي لمين" وقرر الانتفاع منه ومن أفكاره وأن لا يتعصب لفلسفته القديمة فيأخذ ما يناسبه ويترك ما لا يعجبه، وتجلى ذلك في قوله: «بُهِتُ أمام هذا البدوي الذي يجد جوابا لكل سؤال. حقيقة لقد عراني أمام نفسي مرة ثانية، وأوقفني على حقيقتها. إن الأشياء في عالمه واضحة، ليست كالتي في عالمي مستترة وغبشة. لهذا قررت -مساء وأنا أنتظر خروج مريم من بيتهم- أن أتخلى عن ذاتي وهواي وأنصت لهذا الرجل كثيرا، وأفرز ما يقوله لي، آخذُ منه ما اقتنعت به وأترك ما لم يقنعني»<sup>1</sup>.

وقوله في: «مشينا شرقا في شارع ضيق، فصادفنا صبيان سمر حفاة أقبلوا على سي لمين عندما رأوه فأعطاهم ما عنده من حلوى إلا طفلا داكن السمرة مخلوق الرأس على قفاه خط عابث أبيض من أثر العرق الذي جف، لم يأخذ حظه من الحلوى، عبس لكن سي لمين كسر عبوسه بأن أشار إليه أن أحفر تحت أصل الجدار، وأراه موضع ذلك، فحفر فوجد بضع نقود أخذها وانطفاً في منحرجات الشارع. فتذكرت ما قاله لي المختار في شأن المال الذي يتنزّه منه سي لمين فيدسه في عمامته أو تحت الجدران!»<sup>2</sup>، هنا نتذكر قصة الغلامين مع سيدنا الخضر عليه السلام الذي رأى جدارا لهما يريد أن ينقض فأقامه، لأنه يوجد تحته كنز أراد أن يبلغا أشدهما لكي يستخرجاه فيما بعد.

وعليه فالرواية وإن كانت لا تتناول بشكل مباشر الأبعاد الدينية ولكنها تستخدم أسلوب الرموز والأشكال الدينية لتعكس مفهوم البحث عن الإيمان والسعي لتحقيقه، والسؤال عن هدف الإنسان في الحياة والدنيا...

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 93.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 99.

## 3. البعد الفلسفي:

وفي هذا البعد تجدر الإشارة إلى الكيفية التي يبني من خلالها الروائيون أمكنتهم وربطها بكل ما هو فلسفي ذهني ومتخيل، وذلك من أجل إغناء وإثراء العمل الفني وشحنه بمعطيات فلسفية ذات عمق ودلالة، وتؤكد سيزا قاسم أن «التبادل بين الصور الذهنية والمكانية يؤدي إلى التصاق معان أخلاقية بالإحداثيات المكانية نابعة من حضارة المجتمع وثقافته... كما أن الأشياء تتحول في الرواية من مجرد عناصر من العالم الخارجي إلى رموز»<sup>1</sup>، كما أن الكاتب لا يكتفي بوصف عناصر الواقع كما هو بل يحوله إلى عمق فلسفي وذلك من أجل إكسابه صبغة جمالية فنية، وتعد رواية "الملحد" رواية فلسفية، إذ تتناول الرواية من خلال شخصية البطل "بقي" العديد من المواضيع الفلسفية، فقد اشتمل "عبد الرشيد هميسي" على فضاء الطبيعة، فأستعار مكوناتها ومظاهرها لتجسيد أسئلته وربطها بأسباب وجودها، فالطبيعة هي المهد الأول للإنسان وهي ملجأ "بقي"، وفيها وجد إيمانه، ومن بين الأفكار الفلسفية المذكورة في الرواية نجد:

يقول "بقي": «لقد عزمت على أن أتقصى خبر كل الهوام والزواحف التي في الصحراء، فلعل أسراراً خطيرة وراءها، ولقد رغبتني في ذلك ما رأيته من أمر الجربوع، ولأنني أحب -أيضاً- أن أقف على حقائق الأشياء وأسرارها، فالذي سأقوم به هو معرفة وتسلية معا»<sup>2</sup>، يعبر "بقي" عن إصراره على معرفة حقائق الأشياء وأسرارها، وذلك من خلال تأمله ودراسته لحيوانات الصحراء وزواحفها، كذلك تأمله في نفسه وتصوره لتوازن الإنسان مع العالم حيث يعتقد بأن الإنسان هو الجزء الأساسي من النظام الكوني، وأنه يتناسب بشكل تام مع الكون المحيط به؛ أي أن الإنسان والكون قد وجدا لبعضهما البعض، وأن هناك تناغم تام بينهما، يقول: «آخر شيء تأملته هو نفسي! لقد كانت أقرب الأشياء إلي، ولكنها كانت الأخيرة في التأمل. ولقد تأكد عندي يقين لا يقبل الشك أننا هيئنا في تناسق تام مع هذا العالم كأنه وجد لنا ووجدنا له»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سيزا قاسم، بناء الرواية -دراسة-، طبعة مكتبة الأسرة، (د.ط)، 2004م، ص 105.

<sup>2</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 119.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 128.

يتساءل "بقي" حول مسألة العظمة والفناء، فيقول: «فلسفت المسألة سرا: «كيف تستحيل الأشياء العظيمة إلى الفناء؟! ما الذي يجعلها عظيمة وما الذي يفنيها؟! وهل تفنى الحقيقة؟! أم إننا واهمون؟! وإن كانت ستفنى هكذا بكل هذه البرودة، لم وجدت؟! إما أن الحياة عابثة فهي تلهو بنا كما تشاء وما نحن إلا دمي، وإما أنها حكيمة ولكن القصور والعجز فينا نحن الذين لم نفهمها على حقيقتها»<sup>1</sup>، فهنا يتساءل، ما الذي يجعل الأشياء عظيمة؟ وكيف تفنى؟ وهل يمكن أن تفنى الحقيقة أم أنها باقية دائما؟، ويشير أيضا إلى التناقض بين فكرة أن الحياة عابثة ودون معنى، أو أننا نحن البشر الذين نفتقر إلى الحكمة والفهم الكافي لفهم الحقيقة كما هي، كذلك نجده يتطرق لفكرة الحياة والموت والبعث، يقول: «سمعت للجمل ثغاء عندما كنت أفكر في شيء خطير، وكأنه أحس بخطورة ما أفكر فيه، تساءلت: إن هذا الموجود الذي أوجدنا بكل هذه الحكمة، لن ينهي وجودنا هذا بموتة أبدية، فبعد أن عرفنا حكمة الموجود وسلطانه على الأشياء وعظمته، ينهينا بموتة تطفئنا وكأننا لم نكن يوما موجودين في هذا العالم! إن الموت بهذا الفهم لا يتناسق مع حكمة الوجود. إن الذي أوجدنا أراد لنا أن نكون أبديين. حياة واحدة لا تكفيها؛ كيف يموت الظالم وهو قاهر للعباد دون أن يقتص منه، ويموت المظلوم مقهورا دون أن يسترد حقه؟! ويموت منكر الموجود لهذا العالم، دون أن يتعرف إليه؟! لا بد أن هناك حياة أخرى تأخذ فيها الأشياء موازينها، وإلا فإن حكمة هذا الوجود منقوصة ومشوهة»<sup>2</sup>، يعبر "بقي" عن قلقه حول خطورة الأفكار التي يفكر فيها، ويتساءل عن حكمة الخالق في جعل الموت نهاية لحياة الإنسان، ففي اعتقاده الموت لا يتماشى مع حكمة الخالق، وأن الإنسان ينبغي أن يكون خالدا، ولا يجب أن ينتهي بالموت الذي يمحو كل وجوده مثلما لم يكن يوما موجودا، كما يجب أن تكون هناك حياة أخرى بعد الموت يتم فيها إصلاح الظلم واسترداد الحقوق.

كما نجده يثير العديد من الأسئلة، فيقول: «بقدر ما أعجبنى ذكاء الجربوع بقدر ما حيرني هذا السؤال: من أين لهذا الكائن الصغير بهذه الحيلة؟ من علمه؟ لو كان جربوعا واحدا له هذه الحيلة لهان الأمر، وأدرت أنه اجتهد فبلغ هذه الحيلة، ولكن المعضلة هي

<sup>1</sup> عبد الرّشيد هميسي، مصدر سابق، ص 113.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 131.

أن كل الجرابيع لها الحيلة نفسها، هل درست كلها عند جربوع معلم واحد؟!<sup>1</sup>، وأيضا قوله: «لكن الشيء الذي لم أجد له بيانا، هو من علم هذه العناكب غزل شبكتها على هذا النحو؟ فكل العناكب التي صادفتني تغزل بيتها بالطريقة نفسها. ومن أنبأها أن الشباك تربك الحشرات وتعطل حركتها؟ لماذا لم تسع في الأرض تطلب رزقها كالنملة أو كالعقرب؟!»<sup>2</sup>، وقوله: «السؤال الذي كان يلح علي باستمرار: من علم هذه الحية حيلة التخفي؟!»<sup>3</sup>، كذلك قوله: «ولكن الذي لم أفهمه: من الذي علم النملة أن تدفن أختها إذا ماتت؟!»<sup>4</sup>، استغراب "بقي" من المهارات الطبيعية للحيوانات والحشرات وذكائها، وكيف يمكن لهذه الكائنات الصغيرة أن تتصرف بطرق معقدة ومتقنة في التخفي والصيد...، كما يتساءل عن الجهات التي قدمت المعلومات والخبرات التي أتاحت لهذه الحيوانات استخدام هذه الحيل بطريقة فعالة ومناسبة لبيئاتها المتغيرة، وكذلك استغرابه من تناسق وجمال الألوان التي تم صبغ الحيوانات بها لتتناسب مع لون الصحراء، ويتساءل عن السبب وراء تلك الألوان ومن وراء القرار بصبغها بهذه الطريقة، ويعرض فرضية بأن هناك قوة حكيمة وراء هذا الأمر، ويرمز إلى وجود عظيم، خلق ونوع الكائنات على الأرض، كما يعبر عن دهشته من التناغم التناسق الذي يظهر في لون الحيوانات والبيئة التي تعيش فيها، فيقول: «بقدر ما أعجبنى لونه الرمادي بقدر ما حير في سؤالا فأسئلة: لم كان لونه رماديا؟ أجبت: لكي لا يكون وضاحا لمفترسيه، فاللون الرمادي قريب من ألوان الصحراء، ولم بقيّة الهوام والزواحف ألوانها ليست وضاحة؟! العقرب أصفر، والأفعى بني بارد، والعنكبوت والضب والورل كلها بين الأصفر والني البارد؟! أجبت: لكي لا ترى حين تصطاد أو تُصطاد. ثم قلت: من الذي صبغها بهذه الألوان لكي يناسب لونها صحراءها؟! الصدفة؟ لم لم تلونهم الصدفة بالأحمر مثلا؟ لا بد هناك قوة حكيمة وراء هذا»<sup>5</sup>، وأيضا قوله: «ولكن الذي لم أدركه، من الذي عوض ذلك النقص بهذا الكمال؟!»<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرّشيد هميسي، مصدر سابق، ص 118.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 124.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 121.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 123.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 118.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 124.

نجد "بقي" يصف تجربته في الصحراء، بعدما قضى شهرين يستكشف قوانين الطبيعة وأسرار الحشرات، فيقول: «طوال هذين الشهرين اللذين قضيتهما في الصحراء مستكشفاً قوانين الطبيعة وأسرار الحشرات، كنت في كل ليلة قبل أن أنام تحاربنني الأسئلة فتؤجل نومي إلى ساعات متأخرة من الليل، وإن أعظم سؤال استطعت أن أجيب عليه هو: هل كل هذه القوانين وهذه الأسرار وهذا التناسق العجيب بين الهوام وبيئتها وليد الصدفة؟! قلت نفسي: «إن الصدفة وليدة الأسباب، وهي تكرر لا متناه من الاحتمالات حتى يستقر الشيء على أمر يتناسب مع طبيعة تكوينه ومع بيئته ولكن فرضية الصدفة هذه لا تسلم من أربعة اعتراضات: أولها لماذا تكرر الصدفة نفسها مع كل أجيال الهوام؟ فالصدفة لا تتكرر. ثانيها من أخبر هذه الصدفة العمياء أن سلوك هذه الحشرة متناسق مع طبيعة جسدها ومع بيئتها حتى تستقر تلك الحشرة على ذلك السلوك؟ ثالثها من أمد الصدفة بالاحتمالات، وكأنها تعرف سلفاً هذه الاحتمالات؟ رابعها من أمد الصدفة بالقوة التي تتولى إيجاد الاحتمال أو عدمه، والتنسيق بين ذلك كله؟!»<sup>1</sup>، وقوله: «إن أعظم سر استنتظته الصحراء هو: «إن وراء كل شيء شيئاً»،...أخذت أعيد اكتشاف الأشياء، وأرميها بالأسئلة فتجيبني بكل حكمة، كنت التلميذ وكانت المعلم»<sup>2</sup>، وكانت هذه التجربة تثير الأسئلة في ذهنه قبل أن ينام، فكان أكبر سؤال يعترضه حول فكرة الصدفة ودورها في تناسق الكائنات الحية مع بيئتها، ومتسائلاً عما إذا كانت هذه الأمور وليدة الصدفة أم هناك شيء آخر وراءها، كما أن أعظم سر استنتظته الصحراء هو وجود شيء وراء كل شيء، وأنا نحتاج إلى استكشاف الأشياء ورميها بالأسئلة للوصول إلى الحقيقة، ويبدو أن الصحراء كانت مكاناً يساعده على الاسترخاء والتأمل والتفكير بعيداً عن صخب البادية، وقد وجد فيها المعلم الذي يجيب عن أسئلته ويعينه على فهم الحياة بشكل أفضل.

وصول "بقي" لحقيقة الوجود، أي أن وجود الكون، وتناسق كل مكوناته، يدل على وجود خالق واحد وحكيم وقادر على كل شيء، فيقول: «ومن التناسق أيضاً أنني إذا جعت سد الأكل جوعتي، وإذا عطشت أرواني الماء. أي أن الذي أوجد في الجوع أوجد الأكل ليشبع، وهو الذي أوجد في العطش، وأوجد الماء ليرويني. أي إن هناك تلازماً. وأوجد في البصر لأرى الأشياء، أشكالها وأحجامها وألوانها، وأوجد في الشم لأفرق بين الصالح من الأطعمة

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 125-126.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 126.

والفاسد، ولأتمتع بكل طيب. وأوجد الذوق والسمع واللمس...»<sup>1</sup>، يؤكد "بقي" بأن هناك تناسق وتلازم بين احتياجات جسده، فعندما يشعر بالجوع يحتاج إلى الطعام، وعندما يشعر بالعطش يحتاج إلى الماء، وهذا يدل على أن المنظومة الجسدية تعمل بشكل متناغم ومتكامل، كما يؤكد أن الجسم يحتاج إلى الحواس للتعرف على الأشياء ولاستيعاب العالم المحيط به، فالبصر يساعد على رؤية الأشياء وتمييز الألوان والأحجام، والشم يساعد على التفريق بين الأطعمة الصالحة والفاصلة...، وهذا يدل على عظمة الخالق الذي أوجد الجسم بمنظومته المتكاملة والمتناغمة، كما يقول: «إن الذي أوجدنا حفنا بكل شيء يكون به وجودنا ممكنا، وترك لنا حرية التصرف في هذا العالم»<sup>2</sup>، ويعني بكلامه أن الذي خلقنا سخر لنا كل شيء وجعل وجودنا ممكنا في هذا العالم، كما أنه منحنا حرية التصرف في هذا الكون واختيار ما نريد فعله وما لا نريد.

ففي الصحراء أعاد "بقي" رسم مساره وأفكاره، فيقول: «استطعت أن أمحو كل شيء وأعيد رسم مساري من جديد، رسمته وأنا وحدي في الصحراء بعيدا عن الحضارة وعن الناس...، رسمته وأنا في كل حريتي، متجردا من كل شيء قد يفرض علي فكرة أو توجهها، لقد نشرت قناعاتي تحت الشمس فما صلح منها إلا شيء واحد، وهو لهذا «الكون موجود واحد»<sup>3</sup>، هنا لم يتأثر "بقي" بقناعات أو توجهات أخرى، فهو كان حرا في تفكيره دون أي قيود أو ضغوط خارجية، ليصل في الأخير إلى حقيقة أن لهذا الكون مُوجد واحد وهو الخالق والمدبر لكل شيء، وكذا في قوله: «أنفقت أياما أثور الأسئلة وأغربل كل شيء، ولقد كان ما غربلته كله يركح عند شيء واحد وهو أن مُوجد هذا الكون واحد وحكيم وقادر وله مطلق الإرادة»<sup>4</sup>، فهنا يعبر "بقي" عن بحثه المتواصل عن الحقيقة والمعرفة، وأن كل الإجابات تصل في النهاية إلى وجود خالق واحد حكيم وقادر على كل شيء وبأن له السلطة المطلقة في الكون.

اهتم الكاتب بمعالجة المشكلات والقضايا المتصلة بطبيعة العالم والوجود، فالبطل في هذه المرحلة لا ينفك يتساءل عن مصدر المعرفة الإنسانية، أسئلة حائرة قلقة حينما يثيرها

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 129.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 130.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 132.

على الرغم من عثوره على بعض الإجابات، وحينما يتساءل أسئلة متخاذلة في شيء من التردد والخوف، لانعدام الإجابات أمامه، وتعثر الرؤية الداخلية لديه، إنها أسئلة يراجع بها مفهوم الصراع الأكبر لدى الإنسان مع ما قرأه وتعلمه وسمعته، صراع الوجود الإنساني بشكل خاص، والموجودات كافة بشكل عام، أسئلة تبدو ضبابية مستفزة تفوق التوقعات، وتتفوق على الحضور الإنساني في هذا العالم.

#### 4. البعد الصوفي:

إن التصوف من الكلمات الشائعة، تعددت مفاهيمه ودلالاته ورغم هذا الاختلاف القائم في تعريفه فقد اتفقت جل الآراء بارتباطه بالدين، واصطباغه بصبغة شرعية متمثلة في حب الله والتعلق به، ويعود سبب ظهوره إلى دخول أمم شتى وأجناس عديدة في حضرة الإسلام وديانات وحضارات مختلفة تمازجت وتداخلت...

والمذهب الصوفي هو: «الموقف الصوفي الخالص، إذ يتخلى الصوفي عن الواقع المادي ويبحث عن الحقائق المستقلة في الشعور من أجل الحصول على الماهية الخالصة دون شوائب وذلك عن طريق المجاهدة، حيث يستطيع أن ينتقل من عالم الظلمة إلى عالم النور وإخراج العالم المادي من دائرة الاهتمام، وقبول العالم العلوي الذي هو عالم الشعور بالنسبة للعالم الطبيعي»<sup>1</sup>.

فالتصوف هو عبارة عن محاولة للتسلح بقيم روحية عميقة والتي بدورها تساعد الإنسان على مواجهة الحياة المادية، ومن ثم تحقق التوازن النفسي، وهو سلوك إيجابي يساعد الإنسان في ربطه بمجتمعه، والابتعاد عن الشهوات والانغماس فيها وتحلية النفس بالفضائل، ويمثل «التصوف الإسلامي- فكريا، وتجريبا، وممارسة طقسية- واحدا من أقوى مرجعيات الرواية الإبداعية الجديدة، باعتبار الصوفية نزعة روحانية تمارسها مجموعة

<sup>1</sup> آمنة بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، الأول للطباعة والنشر، مدوحة، تيزي وزو، الجزائر، ط3، 2009م، ص 21.

بشرية، تقطع صلتها بملذات الحياة الدنيوية ومغرياتها، وتنتقي الصحراء البدائية، وتمارس بساطة الحياة فيها وهو انتقاء إنساني، تميل إليه النفس بدافع اختياري لا قسري»<sup>1</sup>.

فالرواية تدرس كل ما يتعلق بالإنسان وتساهم في توعية القارئ من خلال طرحه لمختلف القضايا الاجتماعية، والثقافية والتاريخية والدينية...، ويعد لجوء الروائيين المعاصرين إلى التراث الصوفي، لتمثيل التجربة الصوفية كممارسة إبداعية من مظاهر الحدثة الروائية، «فالخطاب الصوفي في الرواية العربية ظاهرة لافتة وأحد أهم المواضيع التي حظيت باهتمام الأدباء والدارسين، فأخذت الرواية منحا جديدا يحمل في طياتها معاني ومواضيع ودلالات صوفية في مضامينها، ومنه أصبحت تمظهرات التصوف وتجلياته ظاهرة بشكل واضح في الرواية العربية المعاصرة، حيث تجلى ذلك في توظيفها لمصطلحات صوفية دينية، ومفاهيم رمزية، وكذا في لغتها الإيحائية والسردية»<sup>2</sup>.

فعلى مستوى اللغة الروائية يبذل الروائي المعاصر «توليفات لغوية ذات بعد صوفي اعتمادا على الألفاظ ومعجم الصوفيين، فنجد الكلمة تحمل ثقلا دلاليا وكثافة رمزية، كالحب والرؤيا والكشف والحلول... كما يقتبس نصوصا صوفية بهدف تأكيد رمزية الرواية وتكثيف رؤيتها، حيث تلجأ الرواية العربية المعاصرة في كثير من الأحيان إلى التناص مع الخطاب الصوفي عن طريق إيراد المقولات والأذكار الصوفية والآثار في بدايات النصوص أو ضمنها أو في خواتمها، مما يولد شعرية الكتابة الروائية الجديدة ويعمق الرؤية الفلسفية فيها، وهذا بخلاف الإبداعات المعالجة لقضايا الواقع، التي تلتزم بالرؤية العقلانية، فاعتماد الحدس هو الموجه للكتابة الجديدة»<sup>3</sup> التي تستدعي النص الصوفي وتتعلق معه، فهو نص لغوي ودلالي له خصوصيته في الأدب العربي إذ ينزاح باللغة من

<sup>1</sup> مقداس رزيقة، الصورة-الصحراء في الخطاب الروائي المغربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص الأدب والدراسات النقدية المغربية، جامعة مولود معمري زيزي وزو، قسم اللغة العربية و آدابها، 2021م/2022م، ص 206.

<sup>2</sup> لعور إيمان، رتاب خولة، تجليات الحضور الصوفي في رواية عزازيل ليوسف زيدان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، قسم اللغة والأدب العربي، 2021م/2022م، ص 27.

<sup>3</sup> كريمة بوكرش، الوظائف السردية والدلالية للخطاب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة "شجرة العابد" لعمار علي حسن نموذجاً، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص أدب عربي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، قسم اللغة والأدب العربي، 2016م/2017م، ص 4.

معجمها إلى مستوى غني بالإيحاء، أما على مستوى الخطاب الروائي، فإننا نكتشف البعد الصوفي في «الخصائص المميزة للخطاب السردى كالزمن والمكان والشخصية...»<sup>1</sup>.

ومما سبق ذكره فالبعد الصوفي للفضاء الصحراوي في رواية "الملحد" لا نقصد به في هذا المقام الصحراء كإقليم جغرافي، لأن نصف أحداث الرواية تجري في منطقة حاسي خليفة، ولكننا نقصد بالصحراء الأرض، الفضاء، الواسعة، فقيرة الماء، قليلة النباتات، وللصحراء بهذا المعنى الأخير مكانة خاصة عند أهل التصوف، «فهي موطن الانعزال والبعد عن الناس وهي المكان اللامتناهي الذي لا تحده حدود ولا تكبله قيود، فهي المطلق الذي لا يخضع لسلطان أو رقابة أحد غير الخالق سبحانه وتعالى، وهي الأبدية واللانهاية والصفاء بعيدا عن عكارة الحضارة وفوضاها، ففيها يجد المتصوف السكينة والهدوء والبيئة المثلى للمناجاة الإلهية، لهذا اختارها الصوفية منذ القديم ليبثوا فيها مواجيدهم وأشواقهم وليقيموا فيها صلواتهم بعيدا عن أعين الرقباء والحساد والهازيين»<sup>2</sup>، فالصحراء تمثل الفضاء الذي يطهر القلب من أدران الحياة وبهرجها وزيفها، فيتجه إلى توحيد الخالق وتقديسه بما هو أهله، وينزهه عن الند والشبيه، وتظهر الصحراء في بعدها الصوفي جلية في فضاء شخصية "سي لمين"، في قول "بقي": «فالتفت إلينا وأوقف بصره علي، عيناه كعين نبي حزين. فيهما شيء لم أراه في عيني مختار أو غيره من رجال البادية، لذلك لم أستطع أن أدفع عن قلبي شعور الانجذاب لهذا الرجل عند أول مرة رأيته فيها، قام ورحب بنا، صافحنا وكنت الأخير، فأطال في مصافحتي، يده ناعمة، وله عطر بدوي مميز تحدث مع مختار قليلا، فانشغلت أنا بتمليه. ما السر الذي يشدني إلى رجل بدوي لا أعرفه؟! للرجال مثل ما له من قسمات، لكن له شيئا لا يملكه غيره من الرجال»<sup>3</sup>، وقوله أيضا: «...كلهم يجدون عند هذا البدوي بغيتهم، كأن قلبه واحة معطاءة لا ترد أحد»<sup>4</sup>، من خلال ما جاء

<sup>1</sup> كريمة بوكروش، مرجع سابق، (ص.ن).

<sup>2</sup> معمر معمري، الرؤية الصوفية وأثرها في التشكيل السردى عند الحبيب السائح، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث تخصص سرديات، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016م/2017م، ص 106-107.

\* ينظر في الملاحق.

<sup>3</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 72.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 100.

في قول "بقيّ" نستنتج بأن "سي لمين" إنسان غير عادي فيه شيء ليس عند البقيّة، فهو ملجأ لكل محتاج ومضطر ولكل تائه وضال.

كما جاء في قول آخر لـ "بقيّ": «وجدت سي لمين جالسا قبالة الشرق مسندا ظهره على الحائط، وعيناه متلذتان بالقرآن الذي يتلوه على الصبية، كان سعيدا بما يفعل ومرتعا بلذة قدسية تحيط به من كل جهة. كان كالذي أخذته لذة وطغت عليه فهو لا يستطيع أن ينفك منها»<sup>1</sup>، وقوله: «بعد صمت ملاء بالذكر»<sup>2</sup>، وفي موضع آخر قوله: «كنا نمشي صامتين إلا من تلاوة سي لمين للقرآن سرا فلا أرى إلا شفثيه تتحركان، أو أسمع بين الفنية والأخرى كلمة يجهر بها أو يمدّها ثم يعود إلى تلاوته السرية، مغيبا عينيه في لذة سماوية، وفجأة سقط سي لمين على الأرض ساجدا، ظننته..»<sup>3</sup>، وقوله أيضا: «...أما سي لمين فقد بقيّ مطرقا يُسبّح»<sup>4</sup>، فمن المقاطع السابقة يتضح لنا أن "سي لمين" متلذذ في عبادته، كثير الذكر والتلاوة في كل الأوقات، وهذا ما يميز الرجل الصوفي المتعبد عن غيره.

وفي قوله: «فقال: «اسمك باقي! الله هو الباقي وما دونه فاني»»<sup>5</sup>، دلالة على تقديس "سي لمين" للذات الإلهية، وتذكيره لـ "بقيّ" بأن دون الله فإن وزائل وما البقاء إلا لله سبحانه وتعالى.

☒ العشق الإلهي: وهو عبارة عن علاقة روحية حميمة بين الإنسان وخالقه أي هو شعور الروح بالحب العميق والوجودي لله تعالى، في قوله: «...ثم سألته: «وهل وجدت تلك السعادة وأنت في شظف العيش وسط هذه الصحراء القاسية؟»، تنهد وأجاب: «الإنسان إذا عشق ربه حق العشق فإن كل الأشياء دون الله تغدو ترابا، وتستوي عنده الحياة بحلوها ومرها، فلا زينتها تأخذ ولا هجنتها تصده. إن السعادة الحقيقية لا تؤخذ من الأشياء الفانية، وإنما تكون من خالقها»»<sup>6</sup>، وقوله: «...قال لي: «يا بقيّ، إنني أرى ربي

<sup>1</sup> عبد الرّشيد هميسي، مصدر سابق، ص 75.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، (ص.ن).

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 99-100.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 101.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 75.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 76.

في كل شيء؛ في نفسي وفي الأرض وفي الماء وفي السماء وفي الحيوانات وفي الحشرات، وفي الرياح وفي الأمطار، وفي البرد والحر وفي الليل والنهار، وفي كل شيء يقع تحت حواسي»<sup>1</sup>، من خلال الاقتباسات تتجلى لنا حالة "سي لمين" ووصوله لما يسمى بالعشق الإلهي. وكذلك في قوله: «...فالدنيا لم تستطع أن تجد طريقاً إلى قلبه»<sup>2</sup>،

✶ الكرامة: تعتبر الكرامة مفهوماً مركزياً في التصوف، وسبب ظهورها على يد الرجال هو الزهد والإخلاص، يقول الإمام ابن تيمية في تعريفه للكرامة: «فما كان من الخوارق من باب فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة يرى ما لا يراه غيره يقظةً ومناماً، وتارة بأن يعلم ما لا يعلمه غيره وحياً وإلهاماً...»<sup>3</sup>، ويتجلى ذلك في قول "مريم": «...ثم جثا على ركبتيه لكي يكون طوله مثل طولِي، ونظر في عيني: «سيكون من ابنتك هذه ما لن يكون من بناتك الأخريات». ثم انصرف سي لمين تاركاً أبي متهاوياً في حيرة سحيقة»<sup>4</sup>، وأيضاً: «...أما نبوءة سي لمين فلا زالت لغزاً طائراً في السماء»<sup>5</sup>، وفي قوله: «أتذكر سي لمين وهو يقول لي: «لقد بشرت في المنام أنك ستأمن بعد أن يصيبك ظنك، لذلك ذكرت لك قول الله ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ لكي تكون مخرجك»»<sup>6</sup>، فهنا تظهر نبوءة "سي لمين" وتتحقق في أرض الواقع، ففي المقطع الأول تفسيره لما رأت "مريم"، أما الأخيرة فتتحقق من خلالها ما جاء في منامه، وحضور هذه المظاهر الصوفية، كانت سبباً في ثراء الرواية بالمفاهيم الفلسفية الوجودية.

ومن خلال تحليلنا لأبعاد الفضاء الصحراوي في رواية "الملحد"، نستخلص أن وصف مظاهر الطبيعة الصحراوية، ساهمت في تعميق البعد السياحي فكانت الصحراء مرتعاً للراحة النفسية والسكينة والتأمل، كما للإلهام والإبداع والطريق للإيمان بالنسبة للبطل "بقي"، وكذلك

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 90.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 92.

<sup>3</sup> عبد الرشيد هميسي، حضور التصوف في الخطاب الروائي العربي المعاصر - بعض الروايات العربية أنموذجاً - أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في نظرية الأدب وقضايا النقد، جامعة الحاج لخضر - باتنة 01، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2017م/2018م، ص 98.

<sup>4</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 85.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 86.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 101.

فالفضاء الصحراوي في عزلته، وهدوئه، واتساعه، هو أفضل مكان للعبادة، وطبيعة الصحراء تجعل الإنسان أقرب إلى الله سبحانه وتعالى من أي مكان آخر.

### خامسا: فضاء التقاطبات الثنائية.

سبق وأن نوهنا إلى الأبحاث النقدية التي تطرقت إلى عنصر الفضاء، ومن بينها تلك الدراسة التي قدمها يوري لوتمان، والمبنية على أساس مجموعة من التقاطبات، أو الثنائيات الضدية، التي تقودنا إلى المعنى الجوهرى للفضاء، ويجدر التنويه هنا إلى أن التقاطبات الثنائية التي سنركز عليها في هذا العنصر هي تقاطبات مكانية بالأساس، تجمع بين المكان وضده للكشف عن عمق العلاقة الثنائية بين ثانيا النص، وعليه سنقوم بعرض مجموعة من التقاطبات المكانية التي تعددت أنواعها في الرواية نذكر منها:

#### 1. الصحراء/البادية(حاسي خليفة):

إن انتقال الإنسان من فضاء الصحراء إلى فضاء البادية (حاسي خليفة) سيؤدي بالضرورة إلى تغيير «نظام القيم وبرنامج الممارسة الاجتماعية الذي ألفناه لصالح نظام جديد يُنتج قيما جديدة وممارسة جديدة»<sup>1</sup>، أي أن الانتقال من مكان إلى آخر سيؤدي إلى تغيير في العادات والسلوك، فالبادية «فضاء واسع»<sup>2</sup>، أي من الفضاءات المفتوحة حيث يُمارس فيها الإنسان راحته وطقوسه اليومية، وفي رواية "الملحد" البادية واضحة لا سر فيها على حد وصف الكاتب، فيقول السارد: «وكل شيء في هذه البلدة واضح:....، لا شيء في البادية غامض أو مستور حتى أسرارهم مكشوفة»<sup>3</sup>، عكس الصحراء الغامضة والتي تخفي وراءها أسراراً، فيقول: «لم أفكر في الطلب لأن هذه النزهة ستكشف لي بعض مغاليق الصحراء»<sup>4</sup>، فهنا تتجلى لنا ثنائية الغموض (الصحراء) والوضوح (البادية)، كما نجد في قوله: «أثناء الطريق تأملت بيوتهم المبنية بالجبس، حيطانها قصيرة، أسقف غرفهم قباب، أكثر جدرانها غير مدهونة، لونها بني من أثر سطوع الشمس المتكرر، وكأن الشمس امتصت بياض الجبس، ملمسها خشن وكثير منها مشقق، أبوابها من خشب رديء وهي

<sup>1</sup> حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 79.

<sup>2</sup> إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 45.

<sup>3</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 72.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 109.

مفتوحة لا تقفل أبداً وكأن البادية تصالحت مع شطارها»<sup>1</sup>، ففي هذا القول دلالة على الأمن والاستقرار، كما أن البادية تدل على بساطة الإنسان الصحراوي، وتجلى ذلك في وصفه لبيوتهم، عكس الصحراء الغامضة والمليئة بالمخاطر، كقوله: «في الصحراء حياة أيضاً، لكنها فترة كأنما تتسرب من منخر إبرة، الصحراء لا تعطيك شيئاً إلا إذا كافحت من أجله، لا تعطيك إلا إذا أثبت لها أنك أهل له، لكأن أشياءها عزيزة لا تعطى لكل طالب، وربما هذا أول أسرار الصحراء»<sup>2</sup>، وقوله أيضاً: «أن تضيع في الصحراء لا يعني إلا شيئاً واحداً وهو أن الموت قادم إليك»<sup>3</sup>، فالصحراء بيئة جافة وصعبة التحمل حيث يمكن للشخص أن يتيه بكل سهولة ويصبح عرضة للخطر، وبالتالي سيواجه الموت بشكل حتمي، كما أن الصحراء تحمل في دلالتها الحرية، يقول السارد: «إن المشي وحيداً في الصحراء مخيف، لكن إن تجاسرت ستشعر بأن حرية ما تعمر جسدك، وستنطلق هائماً لا شيء يوقفك»<sup>4</sup>، أيضاً قوله: «يقدم فضاؤها الفاتن، وانفتاحها اللانهائي حرية مطلقة»<sup>5</sup>، عكس البادية المقيدة بالأعراف والتقاليد، كما يقول: «رغم التقاليد الثقيلة والخطوط الحمراء في هذه البادية»<sup>6</sup>، وقوله أيضاً: «لم أقرأ كثيراً عن العشق عند العرب...، أما إذا منع ممن يحب قد يموت قهراً... ولقد قيل لي إن البدوي العاشق قد يستبد به العشق فيحرق كل تقاليد البادية...»<sup>7</sup>، فهنا تتجلى لنا ثنائية الحرية(الصحراء) والقيد -العرف-(البادية).

ومما سبق نطرح السؤال الآتي: ما العلاقة بين الصحراء والبادية؟

البادية تدخل في علاقة ضمنية مع الالصحراء التي تمثل العرف والقيد والبساطة والوضوح إذن هي علاقة تضمين، وبين الصحراء والالصحراء علاقة تناقض لأن الصحراء تناقض العرف والقيد والبساطة والوضوح، الصحراء تمثل التيه والغموض...، والصحراء تدخل مع البادية في علاقة ضدية، فالبادية تشكل قطبا والصحراء قطبا، لأن لكل مكون

<sup>1</sup> عبد الرّشيد هميسي، مصدر سابق، ص 75.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 83.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 117.

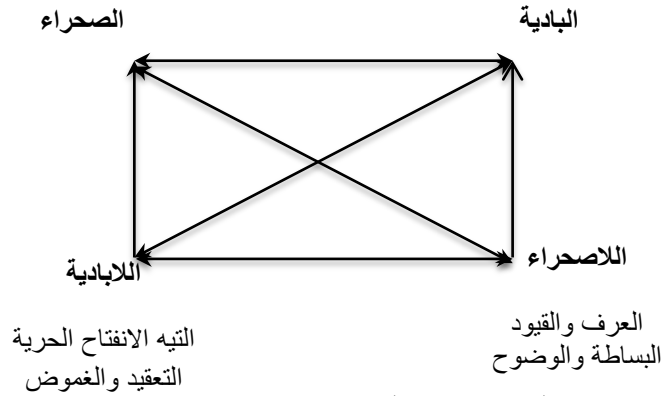
<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 110.

<sup>5</sup> بطرس الحلاق وآخرون، شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، ص 77.

<sup>6</sup> عبد الرّشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 110.

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ص 84.

خصائصه ومميزاته وطبيعة مختلفة عن الآخر، وعليه فالمرجع السيميائي لثنائية (الصحراء/البادية) كما يلي:



## 2. (المسجد-الزاوية) / (الساحة-السوق):

(المسجد-الزاوية): هي الأماكن التي يتعبد فيها الناس ويتقربون فيها إلى الله عزّ وجلّ بغية إرضاءه والفوز بثوابه، كما تذاب فيه المشاحنات الفردية، وتحضّر فيه المشاعر المشتركة بين أفراد الجماعة...، يقول السارد: «لم يدخلنا إلى فناء المسجد الداخلي ورضي لنا أن نرى الغرفة والباحة التي يتعلم فيها الأطفال القرآن، أراها إيها فإذا أصوات الأطفال مثل دوي النحل...، كل واحد فيهم يمسك لوحاً من خشب مطلي بالطين، كتبت فيه أسطر بلون بني داكن، كانوا يقرؤون ويتميلون كأنهم يستلذون بفعلهم هذا»<sup>1</sup>، وكانت المساجد والزوايا على مرّ الزمان، الأماكن الوحيدة التي تقام فيها مختلف النشاطات العامة للمجتمع، ولكن الآن اقتصر دورها على الصلاة وإقامة المناسبات الدينية فقط، وتعتبر الأماكن الدينية قبلة لكافة الناس، يقول: «وصلنا إلى بيت قرب بيته يسمونه (الزاوية)، كان من جبس، لا زخرفة فيه ولا زينة، به غرفة شرقية كبيرة، يستقبل في هذه الزاوية زواره؛ الأصدقاء، والفقراء، والدراويش، وعابري السبيل، والمستفتين، والمتخاصمين، والمستأنسين...»<sup>2</sup>، فهما مكانان مقدسان ولهما من الخصوصية ما يجعلهما رمزا دينيا وإنسانيا يجد فيه الإنسان ملاذ الأخير بكل تجلياته وخصائصه الروحانية التي يفرضها على المجتمع، ومنه نستنتج أن (المسجد-الزاوية) فضاءان مغلقان، لكنهما يفتحان على عوالم روحية وفكرية وغيبية لا محدودة، فهما يدلان على السكينة والطمأنينة والعبادة والتسامح، ونبذ كل أشكال الصراع، والتأمل والتدبر، وهما رمز لحرية المعتقد واكتساب العلوم...

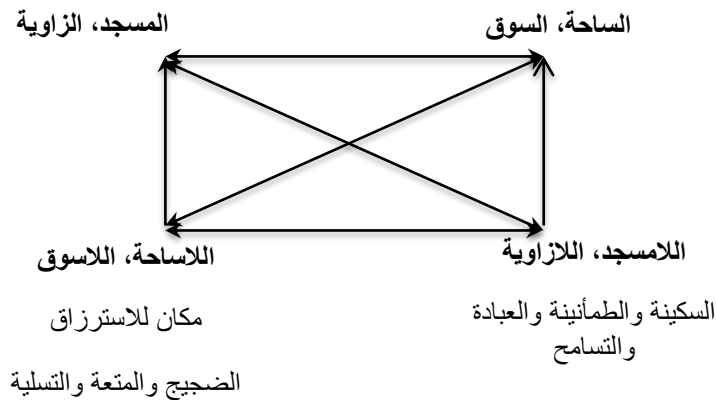
<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 72.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 100.

(الساحة-السوق): باعتباره مؤسسة اجتماعية يلعب دورا بارزا في الحياة الشعبية، فهو يمثل ملتقى سكان القرية والقرى والبوادي المجاورة، يقول الكاتب: «ذات صباح سمعنا صوت مزمار ودف، فأخبرنا مختار أن هذا إشهار لعرس، إنها "الزرنة" وهي أحد تقاليدهم في الأفراح، فتشوقت لرؤيتها، فلما وصلنا إليها وجدنا الناس متجمهرة في ساحة، بشكل دائرة، وسطها خيل ترقص...»<sup>1</sup>، وكذلك التجار والحرفيين من مختلف المناطق، لقضاء مصالحهم الاقتصادية...، يقول السارد: «وجدنا أنفسنا في حلقة من الدكاكين الصغيرة... وداخل هذه الحلقة من الدكاكين رجال جالسون على شكل حلق مبعثرة، حلقة تلعب الخريقة، وحلقة للعناد والصغب تعلو أصوات الرجال، وحلقة للشيوخ الكبار...»<sup>2</sup>، ومنه نستنتج أن (الساحة-السوق) فضاءان مفتوحان، يدلان على الانفتاح والتنفيس والمتعة والتسلية والصخب الضجيج، كما أن السوق مكان لكسب لقمة العيش وتحقيق الأرباح التجارية.

ومما سبق نطرح السؤال الآتي: ما العلاقة بين (الساحة-السوق) و(المسجد-الزاوية)؟

(الساحة-السوق) تدخل في علاقة ضمنية مع (اللامسجد-اللازاوية) التي تمثل مكان للاستترزاق، الضجيج والمتعة والتسلية...، فهي علاقة تضمين، وبين (المسجد-الزاوية) و(اللامسجد-اللازاوية) علاقة تناقض، لأن (المسجد-الزاوية) سكونية وطمأنينة وعبادة وتسامح...، و(المسجد-الزاوية) تدخل مع (الساحة-السوق) في علاقة ضدية (الساحة-السوق) تشكل قطبا و(المسجد-الزاوية) قطبا، ولكل مكون خصائص ومميزات وطبيعة مختلفة عن الآخر، وعليه فالمربع السيميائي لثنائية (الزاوية-المسجد)/(الساحة-السوق)، كما يلي:



<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 77-78.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 98.

فهاته التقاطبات أو الثنائيات الضدية لا تلغي بعضها البعض وإنما تشكل لحمة بناءية من شأنها أن تساهم في فتح مغاليق النص، و كذا إضافتها أبعاداً دلالية وجمالية على الرواية. يتعرف القارئ عبرها على أنماط ثقافية معينة لم يأت بها الكاتب عبثاً، بل وظفها لغاية جمالية، جعلها تساهم في تجسيد الصراع القائم من خلال الأحداث داخل العمل السردي، فالمسجد فضاء تعبدي له قوانينه وأعرافه وحدوده، والسوق فضاء منفتح يمثل اللاقيد والتسلية والتنفيس، وهو مكان تجتمع فيه قبائل مختلفة وطبائع متميزة يجوز فيه ما لا يجوز في غيره من الأفضية المغلقة، وهذه الثنائية التقاطبية تشكل بنية متكاملة تلبي حاجيات الإنسان الروحية والإنسانية.

### سادساً: علاقة الفضاء الصحراوي بالأبنية الأخرى.

الفضاء الصحراوي يتداخل مع مختلف المكونات السردية التي تبني العمل الروائي، ومن بين المكونات السردية مكون الشخصية ومكون الزمان.

#### 1. علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصية:

يرتبط الفضاء ارتباطاً وثيقاً بالشخصيات، إذ لا معنى له دون شخصيات تتحرك لتسير الأحداث، فالفضاء يشكل بيئة تعيش فيها الشخصيات، وتكون العلاقة بينهما علاقة تفاعلية، تبادلية، يقول فيليب هامون: «إن البيئة الموصوفة تؤثر على الشخصية وتحفزها على القيام بالأحداث وتدفع بها إلى الفعل حتى أنه يمكن القول بأن وصف البيئة هو وصف مستقبل الشخصية»<sup>1</sup>، أي أن البيئة التي يتواجد فيها الإنسان تؤثر على شخصيته وسلوكه وتصرفاته، وقد تحفزه للقيام بأفعال معينة، وبالتالي يمكن القول أن الوصف الدقيق للبيئة المحيطة بالشخصية يمكن أن ينبأ بشكل معين بمستقبل هذه الشخصية وسلوكها.

نجد الشخصية الرئيسية في "رواية الملحد" هو "بقي" حيث مثل شخصية إنسان تائه وسط صحراء قاحلة، في هذا الفضاء الواسع والمنعزل عن البشر تحدى بقي نفسه وواجه صعوبات عدة أثرت عليه فيما بعد سلباً وإيجاباً، فأما التأثيرات السلبية فقد تمثلت في العوامل المناخية، إذ يواجه الناس في الصحراء درجات حرارة شديدة الارتفاع وهبوب الرياح القوية والأتربة والعواصف الرملية، وهذا يؤثر سلباً على صحتهم وحياتهم، وهو ما حدث مع "بقي"

<sup>1</sup> حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، ص 30.

إذ يقول: «الرياح اشتدت حتى أصبحت تحثو التراب على وجهي، فلم أقدر على رؤية شيء»<sup>1</sup>، ورغم أن للرياح دلالات سلبية في الرواية إلا أنها تختلف سيميائياً حسب الثقافات والعادات والتقاليد المتبعة في مختلف المجتمعات، ففي الثقافة الإغريقية القديمة كانت الرياح تمثل الآلهة، وفي الثقافة الإفريقية تمثل أرواح الموتى الخالدة، حيث تعتبر الرياح وسيلة لتوصيل روح شخص راحل عن هذا العالم إلى عالم آخر، كما تدل على الشدة والعنف في بعض الثقافات، حيث يمكن أن تسبب الأعاصير والأذى والدمار، وترمز في ثقافات أخرى إلى التجدد والتغيير، ويمكن أن تجلب الأمطار وتجدد الحياة في الأراضي، وترتبط في ثقافات أخرى بالاتصال والتواصل، فهي تحمل الأصوات عبر مسافات بعيدة، يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أبي بن كعب رضي الله عنه: «لا تسبوا الرياح، فإذا رأيت منها ما تكرهون فقولوا: «اللهم إن نسألك من خير هذه الرياح وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الرياح وشر ما فيها وشر ما أمرت به» صححه الترميذي»<sup>2</sup>، فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن سب الرياح لأنها مخلوقة من مخلوقات الله عز وجل فسبها هو سب لله، وعدم الرضا بقضائه وقدره، ثم أرشد صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى الله جل جلاله وسؤاله من خيرها والاستعاذة به من شرها، ومن تأثيرات الصحراء السلبية أيضاً الجوع والعطش الذي قد يصيب إنساناً ضائعاً في الصحراء، وهذا ما حدث مع بطل الرواية حيث يقول: «أشعر بجوع حاد، لا أدري أفكر أولاً بطريق النجاة من هذه الصحراء، أم أفكر في الحصول على وجبة تسكت معدتي الخاوية أم في اللحاق برفاقي... اخترت أن أشرع في الحصول على وجبة، لأنني بمعدة خاوية لن أنجو ولو اهتديت إلى الطريق الصحيحة»<sup>3</sup>، توحى لنا العبارة بحالة اليأس التي شعر بها بطل الرواية بسبب الجوع الحاد وبعد التفكير ما القرار الذي يتخذه، اختار الأنسب لضمان حياته وهو البحث عن الطعام، وذلك لأنه يدرك أن لا نجاة من دونه، ويقول أيضاً: «شعرتُ بالعطش، فالأكل يورث العطش، همتُ مرة أخرى أبحث عن الماء»<sup>4</sup>، فالماء هو الحياة لقوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 111.

<sup>2</sup> الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب المجدي، كتاب التوحيد، (تح): أبو مالك الرياشي أحمد بن علي بن مثنى القفيلي، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ط1، 2008م، ص 141.

<sup>3</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 114.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 115.

حي<sup>1</sup>، وللماء العديد من الدلالات السيميائية منها: النقاء والصفاء، وكذلك الطهارة فالماء يستخدم كثيرا في الطقوس الدينية كمطهر ومحل الخير والبركة، ويمكن أن يتحول في بعض الأحيان إلى كارثة ومصيبة في الفيضانات والطوفان، ويدل في الفن والأدب على الهدوء والسكينة وإزالة الضغوط والتوتر، والضياع في الصحراء يعني الموت حتما لقول الراوي: «أن تضيع في الصحراء لا يعني إلا شيئا واحدا وهو أن الموت قادم إليك»<sup>2</sup>، هذه العبارة توحى بأن المخاطر في الصحراء تتربص بالإنسان في كل مكان، ومن بين هذه المخاطر هو خطر الموت بسبب الجفاف والإحباط وعدم الوصول إلى الموارد الضرورية للحياة، وبذلك فإن العبارة تشير إلى أنه يجب أن تكون حذرا ومستعدا في كل الأوقات إذا كنت في الصحراء، ومع ذلك نجد العديد من الأمور في هذا الفضاء ساعدت البطل على العيش والاستمرار في حياته، منها بعض حيوانات الصحراء التي كانت مصدر غذائه، حيث يقول: «شويتُ السفتقورين وأكلتهما غصبا عني. فشعرت بعدما ذهب عني التقزز أي رزقتُ حياة»<sup>3</sup>، ويعتبر أكل حيوانات الصحراء في بعض الحضارات جزءا من تنوع النظام الغذائي، ويمكن اعتبارها دلالة على التنوع الثقافي واختلاف الأذواق والاختيارات البشرية المختلفة، ولعل أقرب وأنسب دلالة لها في الرواية هو ضمان البقاء على قيد الحياة، حيث يعتبر أكل حيوانات الصحراء وسيلة للبقاء على قيد الحياة في بيئة صعبة وجافة، وهذا يمثل دلالة على القوة والقدرة على التكيف، حيث يعتبر صيد الحيوانات الصحراوية وأكلها عملية تحتاج إلى الخبرة والمهارة، وهذا دلالة على القوة والسيطرة على هذا الفضاء.

كذلك من الأمور التي ساعدت البطل على تحسين عيشه في هذا الفضاء، "شجرة الزيتا" التي صنع منها المأوى والسلاح والنار، إذ يقول: «أما المأوى فقد صنعته من شجر الزيتا... أما السلاح فلم أتكلف في صنعه... لذلك عمدت إلى عصا غليظة من شجر الزيتا فبردت طرفها حتى أصبحت مدببة»<sup>4</sup>، وهذا دليل على أن للصحراء حياة لكنها لا تتأتى بالراحة كما في قوله: «في الصحراء حياة أيضا، لكنها فترة كأنها تتسرب من منخر إبرة.

<sup>1</sup> القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 30.

<sup>2</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقطان، ص 112.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 115.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 117.

الصحراء لا تعطيك شيئاً إلا إذا كافحت من أجله»<sup>1</sup>، فرغم أن الحياة الصحراوية تبدو جافة وعديمة الفائدة إلا أنه يمكن أن تجد فيها شيئاً إذا كنت على استعداد للكفاح والصمود في هذا الفضاء القاسي.

ومن أعظم التأثيرات الإيجابية التي منحها الفضاء الصحراوي لشخصية البطل هو التحول الجذري في تفكيره وشخصيته بسبب تدبره وتأمله في ملكوت الله، من ذلك تأمله في حياة حيوانات الصحراء، يقول في حديثه عن حيوان الجربوع: «لِمَ كان لونه رمادياً؟ أجبت: لكي لا يكون وضاحاً لمفتريه، فاللون الرمادي قريب من ألوان الصحراء، ولم بقية الهوام والزواحف ألوانها ليست وضاحاً؟! العقرب أصفر، والأفعى بني بارد، والعنكبوت والضب والورل كلها بين الأصفر والبني البارد؟! أجبت: لكي لا ترى حين تصطاد أو تُصطاد»<sup>2</sup>، وفي حديثه عن الأفعى قال: «الأفعى التي عاينتها أولاً هي (أم جنيب)، طولها أقل من المتر، بعرض الحبل. الذي أدهشني هو حيلتها في اصطياد فريستها، فهي تندس في الرمل ولا تُبقي إلا على قرنيها وعينيها ثم تحرك قرنيها باستمرار فيظن الطير أنهما دودتان... السؤال الذي كان يلح عليّ باستمرار: من علم هذه الحيلة التخفي؟!»<sup>3</sup>، وفي تأمله لنباتات الصحراء أيضاً يقول: «تبين لي بعد تقصُّ أن نباتات الصحراء لا تمتلك أوراقاً مسطحة مبسوطة لأن ذلك لا يتناسب مع شح الماء... ولاحظت أن النباتات كانت متباعدة، فأدركت أن سبب ذلك قلة رطوبة الجو»<sup>4</sup>.

وهكذا بقيَ بطل الرواية يزداد فضولاً كلما رأى ما يدهشه في هذه الصحراء حتى وصل إلى نتيجة مفادها أن «وراء كل شيء شيئاً»<sup>5</sup>، وأن هذه الأمور يستحيل أن تكون مصادفة، وأدرك في نهاية الأمر أن الطريق الذي كان فيه خاطئاً لقوله: «أدركت أخيراً أن المسار الذي كنت أسلكه خاطئ، بل أيقنت أنه تافه لا قيمة له، وأنه لا يتناسب مع حكمة الوجود»<sup>6</sup>، وبفضل من الله ثم الصحراء استطاع "بقي" أن يبدأ حياةً جديدةً بعيداً عن الإلحاد

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 116.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 118.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 120-121.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 125.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 126.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، ص 130.

واللهو والتمرد، وأيقن أن الدنيا لها مسير ومدبر وخالق، وبدونه نضيع ونتوه ونتشتت ولا يصبح لحياتنا أي معنى.

## 2. علاقة الفضاء الصحراوي بالزمان:

إن الفضاء الصحراوي له علاقة وثيقة بالزمان، لذلك يعتبر الزمن والفضاء من المكونات الأساسية في الأدب، فهما جوهريتان في الرواية ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض. فالزمن في الرواية يخلق الاستمرارية السردية ويساعد في تحديد تتابع الأحداث وترتيبها، أما الفضاء يستخدم لوصف المكان وخلق الأجواء، «إن مجموع هذه الأمكنة، هو ما يبدو منطقياً أن نطلق عليه اسم: فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان»<sup>1</sup>، بالإضافة إلى ذلك فإن «الزمن والفضاء، نتاج لتضافرها، لتصارعهما، لتقاربهما، لتباعدهما ولكل حركتهما الشاملة التي تجوس المساحة والمسافة الروائية. الحركة التي ليست شيئاً آخر غير العنصر الروائي "Le Romanesque" ذاته. ومن هنا ينبغي أن نفهم معنى أن يقال لنا بأن «الفضاء سواء كان «واقعيًا» أو «متخيلاً»، مرتبط، إن لم يكن مندمجاً في الشخصيات، مثلما هو كذلك بالنسبة للفعل أو لجريان الزمن»<sup>2</sup>، لذلك فإن علاقة الفضاء بالزمن علاقة متلازمة، فهما جزآن لا ينفصلان من الفضاء السردية عامة والروائي خاصة، فالزمن قد أصبح بعداً للفضاء، ولا يمكن تخيل فضاء دون زمن في العمل السردية أو الروائي.

إذ تأملنا في الرواية نجد قول "بقي": «أنهكتنا الطريق الطويلة، فكأن لا نهاية لها»<sup>3</sup>، فالطريق في الصحراء غالباً ما تكون محفوفة بالمخاطر، إلا أن الإنسان يشعر بالراحة عند التأمل فيها، لا مكان لضجيج المدن، سوى رمل وطريق. فينك من فرط التفكير في تفاصيلها فيشعر الفرد كأن لا نهاية للطريق في الصحراء، وكأن لا وجود للزمان فيها.

وفي موضع آخر يقول: «أتذكر الآن كيف أنقذني خالي من الإعدام، هو كان في روسيا في مهمة، ولم يسمع بموت أمي ولا بسجني ولا بحكم الإعدام إلا بعد عودته إلى

<sup>1</sup> حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص 63.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 65.

<sup>3</sup> عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ص 69.

باريس، فأسرع بالمجيء إلى الجزائر وتحري الأمر<sup>1</sup>، للعائلة دور كبير في حياة الفرد، فهم من يقدمون لنا يد العون دائما أينما كانوا، وبالرغم من ابتعاد بقي عن عائلته من غير إرادته والعقبات التي كانت ملازمة له، والتنقلات غير المدروسة من مكان إلى مكان، إلا أنه لم يتحصل على الدعم والمساعدة المعنوية في المواقف الصعبة سوى من خاله ديفيد.

يقول أيضا: «عند المساء تركتهما يتسامران، وخلوت بنفسي في ضيعة مختار مستلقيا أرقب القمر الذي نشر ضوءه في كل مكان، بينما أنا كذلك إذ لمحت كتلة سوداء قرب بيت مختار تتحرك نحوي...ظننت أنها كانت ترقبني قبل بضع سنين...لكن الأمر تكرر لعدة ليال<sup>2</sup>، شعور بقي بالوحدة والحزن والخوف في لياليه الطويلة، كان سببا في استعداده لمواجهة الأسوأ من الحياة، فقد كان يراقب أدق التفاصيل التي تمر أمام ناظره حتى القمر، فالقمر لا يظهر إلا في الليل، وهو يرمز للجمال عند اكتماله، فالمرأة الحسنة يشبهونها بالبدر لجمالها الفاتن، كالقمر الذي يشع بنوره في السماوات والأرض، كما لاحظ البطل الكتلة السوداء التي يخيل إليه أنها تقترب منه وتراقبه منذ سنين، هنا يتشاكل الزمان مع الفضاء ويتداخلان ليفعل الزمان فعله في الفضاء.

ويقول أيضا: «وأما الأشياء المحال وجودها فكوجودك الآن أمامي ووجودك في باريس في الوقت نفسه، فأنت إما أن تكون هنا أو أن تكون في باريس، فمحال أن تكون في مكانين بالوقت نفسه»<sup>3</sup>، فالأشياء بطبيعية الحال سواء كانت معنوية أو مادية من المستحيل وجودها في نفس الوقت وفي نفس المكان، لذلك يجب على الإنسان التركيز على حاضره، لا على ماضيه ومستقبله، وهذا ما سيجعله مشتت الأفكار وضعيف البنية، مستسلما لسجن الماضي ومقيدا فيه ومحتارا من المستقبل، وما خبأه له من مفاجآت، وهذا ما بينه "سي لمين" لـ "بقي".

ويقول بقي في موضع آخر: «في الانتظار نكبر، وإن كان الانتظار لساعة أو ساعتين، لأن الوقت يتمدد ويطغى»<sup>4</sup>، ففي الانتظار يتلاشى الوقت ويضمحل، وبمرور

<sup>1</sup> عبد الرشيد هميسي، مصدر سابق، ص 70.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 74.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 81.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 83.

الزمن تكبر وتختلف الأشياء والأفكار، فالوقت أو الزمن هنا مستمر لا يتوقف، ولا يكثر لأحد، لذلك يمكن للانتظار أن يجعلنا نشعر وكأن الوقت يمتد ويتلاشى بطريقة غير منصفة.

إن فالزمان والفضاء هما عنصران أساسيان في الأدب عامة وفي الرواية خاصة، حيث لهما دور كبير في وصف الأحداث وترتيبها بطريقة تناسبها.

## خلاصة:

وفي نهاية هذا الفصل نكون قد عرجنا إلى الفضاء الصحراوي في "رواية الملحد" وفق المنهج السيميائي، حيث كان هذا الفضاء هو المهيمن والبارز على هذه الرواية، ومنه نستطيع استخلاص أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا الفصل:

✓ الفضاء الصحراوي في رواية الملحد عرّفنا على طبيعة المجتمع البدوي، وطبيعة المناخ الصحراوي في قرية حاسي خليفة.

✓ الفضاء النصي والفضاء الجغرافي أو المعادل للمكان، أضافا دلالات عميقة في هذه الرواية حيث عمل كل واحد منهم على إبراز مكونات ومضمرات الرواية.

✓ للعنوان الرئيسي والفرعي ارتباط وثيق بالرواية وحياة البطل، فالأول ما كان عليه والثاني ما أصبح فيه.

✓ وظّفت الرواية شخصية حقيقية أي موجودة على أرض الواقع وهي شخصية "سي لمين".

✓ للصحراء في هذه الرواية عوالم تميزها عن غيرها من جوانب عدة منها نمط الحياة البسيط في لباسهم وأكلهم وعاداتهم وتقاليدهم ونباتاتهم وحيواناتهم.

✓ ارتبط فضاء الصحراء بالشخصية والزمن، فكانت العلاقة بينهم علاقة تأثير وتأثر.

✓ لم يجسد الفضاء الصحراوي في الرواية على أنه مجرد رمال فقط، بل كان له الفضل في اقتلاع حياة البطل القديمة من جذورها، وزرع حياة جديدة وأفكار جديدة بثوب جديد يكسوه الإيمان بالله وتقواه.



حانم

## خاتمة:

شكّل الفضاء الصحراوي مركزاً هاماً وبارزاً في "رواية الملحد" رغم اقتصار حضوره في الفصلين الأخيرين إلا أن تأثيره وحضوره على الرواية كان بمثابة نقلة نوعية حملت العديد من الدلالات والتأويلات.

وبما أن تقييم نجاح أي دراسة يكمن في تقديم وطرح النتائج التي توصل إليها، فإن دراستنا توصلت إلى العديد من النتائج نذكر منها:

✓ يهدف التحليل السيميائي إلى فهم المعاني والرموز والرسائل التي تنقلها اللغة، إذ يعتمد على نظرية الرموز والسيميوطيقا ويستخدم أساليب مختلفة مثل التحليل النصي والتحليل الثقافي لتحليل الرموز والرسائل المختلفة.

✓ يعزز الفضاء الروائي من التجربة الواقعية للرواية ويثري خيال القارئ حيث يمكن للكاتب أن يستخدمه لتصوير المكان والزمان والأحداث بطريقة واقعية تجعل القارئ يشعر كأنه يرى صورة حقيقية مجسدة أمام عينيه.

✓ مثلّ الفضاء الصحراوي في "رواية الملحد" جزءاً هاماً من هوية الرواية وأسلوب الكاتب في الكتابة، كما ساعد في بناء جوانب نفسية واجتماعية وثقافية للشخصيات والمجتمع الذي تحدثت عنه الرواية.

✓ كشف لنا "الفضاء النصي" في الرواية العديد من الدلالات التي ساعدتنا على فهمها وتأويلها وفق المنهج السيميائي، كما لعب "الفضاء الجغرافي" دوراً مهماً من خلال وصف الأماكن والظروف التي واجهتها الشخصية البطلة، وأستخدم "الفضاء الدلالي" لتوجيه القارئ إلى مجموعة من الرموز والعناصر الدلالية التي دعمت الرسالة التي يريد الكاتب إيصالها، وتجلّى "الفضاء كمنظور أو كروية" في تحديد رؤية الراوي في كونها "الرؤية مع".

✓ إن تصوير الكاتب الدقيق لقريته حاسي خليفة، وإبراز جمالياتها ومحاسنها يؤكد مدى اعتزازه وفخره بوطنه.

✓ للصحراء قيم إيجابية تمثلت في الهدوء والجمال والسكينة والتأمل، إلا أنها في الكثير من الأحيان تضم قيماً سلبية تمثلت في الحر الشديد والقفح والقيح والضياع.

✓ تضمنت الرواية بُعدا سياحيا تمثل في التعريف بعادات وتقاليد منطقة حاسي خليفة، ووصف تضاريسها الطبيعية وحيوانات ونباتات صحرائها، كما تناولت بُعدا دينيا تمثل في البحث عن الإيمان والسعي لتحقيقه، وبعدا فلسفيا تمثل في التساؤلات التي كان يطرحها البطل على نفسه عندما ساورته شكوك حول الوجود الإنساني، وهدف الإنسان من الحياة والدنيا، وبُعدا صوفيا ارتبط بالدين وحب الله والتعلق به وتمثل في شخصية سي لمين.

✓ احتوت الرواية على تقاطبات ضدية أضافت لها أبعادا دلالية جمالية ساهمت في فتح مغاليق النص، وجعلت القارئ يتعرف من خلالها على ثقافات مختلفة.

✓ ارتبط الفضاء الصحراوي بالشخصية والزمان في علاقة تأثير وتأثر، إذ تعتبر الشخصية والزمان والفضاء من المكونات الأساسية في الرواية.

وأخيرا تم هذا البحث المتواضع بعون الله، ثم بإرشادات أساتذتنا الأفاضل، خاصة أستاذنا المشرف: "عبد الرحمان بن عمر"، الذي كان سندا لنا منذ بداية مشوارنا، كما تجدر بنا الإشارة إلى أن الكمال لله فلا يخلو هذا البحث من النقائص التي سنسعى إلى تقاؤها في الدراسات القادمة إن شاء الله ونفتح المجال للدارسين والباحثين لدراسة هذه الرواية وهذا الموضوع الذي ركّز بالأساس على سيميائية الفضاء الصحراوي في النص السردي المعاصر، ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لكل ما هو خير، وأن ينفعنا وإياكم بالعلم النافع.

قائمة المطالعة

والمرجع

## قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر.

1. عبد الرشيد هميسي، الملحد بقي بن يقظان، ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2020.

ثالثاً: المعاجم والقواميس.

1. ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.

2. أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، (تح): عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، (جز3)، (د.ط)، (د.ت).

3. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (مج4)، (د.ط)، (د.ت).

4. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (مج12)، (د.ط)، (د.ت).

5. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (مج7)، (د.ط)، (د.ت).

6. الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، (تح): مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج7، (د.ط)، (د.ت).

7. رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي-إنجليزي-فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، (د.ط)، 2000م.

8. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

9. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، مطابع الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط1، 2010م.

10. محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية دار النموذجية، بيروت، صيدا، ط5، 1999م.
11. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، (تح): علي بشرى، دار الفكر، بيروت، لبنان، (مج)7، (د.ط)، 1994م.
12. نور الدين مهري، معجم الفصح في لهجة وادي سوف، دار سامي، الوادي، الجزائر، ط1، 2016م.

## رابعاً: الكتب.

2. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2002م.
3. أحمد طاهر حسين وآخرون، جمالية المكان، دار قرطبة، الدار البيضاء، ط2، 1988م.
4. أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1982م.
5. الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب المجدي، كتاب التوحيد، (تح): أبو مالك الرياشي أحمد بن علي بن مثنى القفيلي، مكتبة عباد الرحمن، مصر، ط1، 2008م.
6. آمنة بلعلی، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، الأول للطباعة والنشر، مدوحة، تيزي وزو، الجزائر، ط3، 2009م.
7. بطرس الحلاق وآخرون، شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، (تر): نهى أبو سديرة وعماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014م.
8. جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، المملكة المغربية، ط2، 2020م.
9. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء-الزمن-الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.
10. حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 2000م.
11. حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991م.

12. خالد بن عبد الرحمان، الإعلام السياحي وتنمية السياحة الوطنية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م.
13. خليف مصطفى غرايبية، السياحة الصحراوية تنمية الصحراء في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2016م.
14. خليل أحمد خليل، مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1980م.
15. رشيد بوجدر، تميمون، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار (ANEP)، الجزائر، ط2، 2002م.
16. سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل مدخل لسيميائيات ش.س. بورس، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م.
17. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد-التبئير)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 1997م.
18. سيزا قاسم، بناء الرواية -دراسة-، طبعة مكتبة الأسرة، (د.ط)، 2004م.
19. الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.
20. عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، دار القصة للنشر، الجزائر، (د.ط)، 2012م.
21. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1998م.
22. علي صالح الخلاقي، المعتقدات الشعبية في بلاد يافع، مطبعة وحدين، المكلا، ط1، 2020م.
23. عمران سليمان الأشقر، عالم الجن والشياطين، مكتبة الفلاح، الكويت، ط4، 1984م، ص11.
24. غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالبا هالسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
25. فرديمان ده سوسر، محاضرات في اللسانيات العامة، (تر): يوسف غازي، مجيد النصر، دار العمان للثقافة، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
26. كلود عبيد، الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزياتها، ودالاتها)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط1، 2013م.

27. محمد الماكري، الشكل والخطاب-مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.
28. محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ط)، 1991م.
29. محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.
30. محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (د.ط)، 2002م.
31. محمد عزام، شعرية الخطاب السردى-دراسة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2005م.
32. محمد عزام، فضاء النص الروائى، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر، سورية، ط1، 1996م.
33. مراد عبد الرحمان مبروك، جيوبولوتيكيا النص الأدبى(تضاريس الفضاء الروائى نموذجاً)، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002م.
34. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبى، دار النهضة، مصر، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)،
35. ياسين النصير، الرواية والمكان(2)، الموسوعة الصغيرة (195)، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (د.ط)، 1986م.

#### خامسا: الأطروحات والرسائل الجامعية.

1. بلي نعيمة، الفضاء الصحراوي في الرواية المغاربية المعاصرة-دراسة مقارنة بين "ملیكة مقدم" و"إبراهيم الكونى"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربى، تخصص أدب جزائرى حديث ومعاصر، كلية الآداب واللغات، قسم الأدب العربى، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، 2020-2021م.
2. بن عمارة محمد، تأثيرات أنماط البيئة في تغيير العادات الاجتماعية الغذائية-دراسة ميدانية بصحراء وادى سوف. وادى العلندة نموذجاً.-، رسالة مقدم لنيل شهادة دكتوراه

- العلوم في علم اجتماع البيئة، جامعة محمد خيضر ببسكرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، 2014م-2015م.
3. راضية جرمون، **العرف الاجتماعي الشعر الشعبي السوفي شعر أحمد بن عطا الله أنموذجا**، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر بالوادي، مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي، تخصص أدب شعبي، 2014م/2015م.
4. سارة دبلة، **الخطاب السياحي في الرواية الجزائرية -رواية ذاكرة الجسد ونسيان com. لأحلام مستغانمي أنموذجا-**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، تخصص لسانيات سياحية، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم الآداب واللغة العربية، 2014م/2015م.
5. سعدية بن ستيني، **فنية التشكيل الفضائي وسيرورة الحكاية في رواية الأمير ل: "واسيني الأعرج" -دراسة سيميائية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم، جامعة سطيف2، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص أدب حديث، 2012م/2013م.
6. صياد مليكة، **المحضور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة أمين الزاوي آسيا جبار أنموذجا**، أطروحة دكتوراه تدخل ضمن متطلبات شهادة الدكتوراه تخصص النقد الجزائري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2018م/2019م.
7. عبد الرشيد هميسي، **حضور التصوف في الخطاب الروائي العربي المعاصر -بعض الروايات العربية أنموذجا-**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في نظرية الأدب وقضايا النقد، جامعة الحاج لخضر -باتنة01، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2017م/2018م.
8. عدوكة عبد الوهاب، **بديدة محمد الحافظ، دور التسويق السياحي في ترقية السياحة الصحراوية (دراسة حالة ولاية الوادي)**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي تخصص تسويق فندقي وسياحي، قسم العلوم التجارية، جامعة حمة لخضر بالوادي، 2021م/2022م.
9. كريمة بوكروش، **الوظائف السردية والدلالية للخطاب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة "شجرة العابد" لعمار علي حسن نمودجا**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

تخصص أدب عربي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، قسم اللغة والأدب العربي، 2016م/2017م.

10. لعور إيمان، رتاب خولة، تجليات الحضور الصوفي في رواية عزازيل ليوسف زيدان، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، قسم اللغة والأدب العربي، 2021م/2022م.

11. محمد صديق حسن عبد الوهاب، الصحراء في الشعر الجاهلي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العربية، قسم الدراسات الأدبية والفنية، 2007م-2008م.

12. مساوي مباركة، الخدمات السياحية والفندقية وتأثيرها على سلوك المستهلك-دراسة حالة مجموعة من الفنادق لولاية "مستغانم"-، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تسويق دولي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2011م/2012م.

13. معمر معمري، الرؤية الصوفية وأثرها في التشكيل السردي عند الحبيب السائح، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث تخصص سرديات، جامعة الحاج لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016م/2017م.

14. مقداس رزيقة، الصورة-الصحراء في الخطاب الروائي المغربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص الأدب والدراسات النقدية المغربية، جامعة مولود معمري زيزي وزو، قسم اللغة العربية و آدابها، 2021م/2022م.

15. ميسون موساوي، مجتمع وادي سوف من خلال الشعر الشعبي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة حمة لخضر بالوادي، مذكرة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي، تخصص أدب شعبي، 2014م/2015م.

16. وداد مهيدي، فطيمة بفور، الحضور التراثي في رواية "مملكة الزيوان" لـ"الصدّيق الحاج أحمد" أنموذجاً، جامعة محمد الصديق بن يحي تاسوست -جيجل-، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2018م/2019م.

17. ليليلي عواطف، جديدي صالح، رمزية المكان الصحراوي في الرواية العربية رواية "الدرأويش يعودون إلى المنفى" لإبراهيم الدرغوثي-أنموذجاً-، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، (مج)09، (عد)5، 2020م.

## سادسا: المجلات والمقالات والمحاضرات.

1. أبو هيف، عبد الله، **جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر**، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، (مج1، 1)، (عد1)، 2005م.
2. أمل إبراهيم أنور محمد، **التوظيف السياسي للموروث اللغوي في العربية والعبرية دراسة تطبيقية مقارنة على مسميات حروب غزة**، رسالة المشرق.
3. بوقفة صبرينة، **تمثلات الصحراء في الشعر الشعبي الجزائري (قراءة في قصيدة حيزية لابن قيطون)**، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، (جز13، 03)، (عد1)، 2021م.
4. جنات زراد، **تجليات الفضاء الصحراوي في الرواية العربية**، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باجي مختار عنابة، (عد13)، (د.ت).
5. رشا أحمد محمود، **قراءة سيميولوجية في رواية التبر لإبراهيم الكوني**، مدرس الأدب والنقد بقسم اللغة العربية، كلية الألسن-جامعة عين الشمس.
6. العلمي مسعودي، **الرواية العربية المغاربية، (محاضرة)**، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، 2022/2023م.
7. عيسى بربار، **محاضرات في مقياس النقد السيميائي**، السنة الثالثة، دراسات نقدية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد البشير الابراهيمي، برج بوعريريج، 2017-2018م.
8. المسعود جوادي، **كرونوتوبيا الصحراء وتشكل الشخصية الروائية**، مخبر تحليل الخطاب، مجلة الخطاب، (مج15، 2)، (عد2)، 2020م.
9. يسمينة عوادي، **أعلام الكتابة الروائية في الجزائر**، (محاضرة)، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة حمه لخضر بالوادي، 2020م/2021م.

## سابعا: المواقع الإلكترونية.

1. عبد الرّشيد هميسي، **تصريح مكتوب عبر صفحته الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي فـيس بـوك**،  
[https://www.facebook.com/permalink.php?story\\_fbid=3032731626818159&id=100002440533367](https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=3032731626818159&id=100002440533367)  
2020/02/27م.



الملاحق  
الملاحق

## ملاحق:

## أولاً: نبذة عن الكاتب.

عبد الرشيد هميسي: من مواليد 1984م ببلدية حاسي خليفة ولاية الوادي، الجزائر، مساره التعليمي كان في ابتدائية الشهيد خطاب عبد الكريم، ثم متوسطة مقي عمار، ثم ثانوية هوارى بومدين بحاسي خليفة.

تخرج من جامعة الوادي سنة 2007م بشهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، وبشهادة الماجستير في الأدب العربي من جامعة سطيف سنة 2012م، وبشهادة الدكتوراه من جامعة محمد لخضر بباتنة سنة 2018م، يشغل منصب أستاذ محاضر في جامعة الوادي قسم اللغة العربية وآدابها. له ورواية "ما تشتهيهِ الروح" وهي الفائزة بالجائزة الوطنية للرواية بالجزائر ديسمبر 2016م. مصنف نقدي بعنوان: "النص والحاشية"، وعدة مقالات في مجلات محكمة، ومجموعة قصصية بعنوان "موسم الوجع"، بالإضافة إلى رواية "الملحد بقيّ بن يقضان" الحائزة على جائزة راشد للإبداع سنة 2020م.

## ثانياً: ملخص الرواية.

تحكي رواية "الملحد" قصة (ميرسو) والتحوّلات الجذرية التي طرأت في حياته من المسيحية إلى الإلحاد ثم أخيراً إلى الإسلام، حيث نشأ في عائلة مسيحية متدينة فكان يحضر الدروس اليومية في كنيسة (الأرمن الأرثوذكس بمرسيليا) مع صديقه (جورج) يعدون أنفسهم كي يكونا في المستقبل قسيسين، هكذا لمس فيهم معلمهم (جوزيف ماكرو)، وفي ذات الوقت كانت (أم ميرسو) ترغب في أن يكون ابنها يوماً ما قديساً... (ميرسو) خال اسمه (ديفيد) كان فيما مضى مسيحياً متحمساً وبعد مطالعته لبعض الكتب تخلى عن مسيحيته ولم يعد يؤمن بشيء، وكلما يرى (ميرسو) وصديقه (جورج) عائدين من الكنيسة يبدأ بالسخرية منهم ومن دينهم لكن (ميرسو) لم يكن يرد عليه عملاً بوصية جده الذي كان يسمى ديفيد بالشيطان لتخليه عن دينه وإتباعه خطوات الشيطان... ذات مرة زار (ميرسو) وصديقه ديرين واحد للرجال والآخر للنساء، في دير النساء رأوا فتاة لها ملامح عربية وأثر التعذيب باد على جسدها الأسمر، أخبرتهم مساعدة كبيرة الراهبات أن هذه الفتاة تريد ترك

المسيحية وأنها ترى أنه يوجد دين آخر أحق منها، أشفق عليها (ميرسو) وبقي يفكر فيها... بعد هذه الحادثة كان عيد القيامة عند المسيحيين، حيث يصوم البالغين فيه خمسة وخمسين يوماً، لكن (ميرسو) (وجورج) لم يقفروا على صوم كل هذه المدة لصغر سنهم، في هذا العيد تمارس طقوس غريبة حيث يوزع البيض الأحمر، وأثناء استعداد الجميع ليوم العيد أرسل المعلم (جوزيف) (ميرسو) إلى غرفة الشامسة فرأى صديقه (جورج) و(دانييل) ولكنه لم يفهم ما يحدث بينهم لصغر سنه ولصفاء نيته أيضاً وفي المساء رأى جورج وعلامات الانكسار والحزن تنهش عينيه فحدثته نفسه أن الذي حدث بينه وبين (دانييل) أمر خطير... ومما لم يكن في الحسبان ما رآه من فعل معلمه (جوزيف ماركرو) الذي اتخذ من جسد الأرملة الضعيفة الفقيرة ذريعة لإعالتها، تفاجأ (ميرسو) من فعل معلمه الذي كان يعتبره قدوة له وظن أنه لا يخطئ أبداً، وبسبب هذه الحادثة نمت بذور الشك في عقل (ميرسو) الصغير في صواب هذا الدين، ومنذ ذلك الوقت تبخرت حماسته ولم يعد يتأثر عندما يقرأ معلمه الكتاب المقدس كما السابق، وشيئاً فشيئاً بدأت تتكشف أمام عينيه حقائق وزيف هذا الدين فمرة رأى بأم عينيه (دانييل) و(الكاهن) يمارسون على فتاة طقوساً كي تصبح مسيحية. ومما زاد من حنقه وغضب أمه أنه عندما توفي جده لم تسعى الكنيسة أن تساعد في شيء بحجة أن بيتهم أصبح نجساً لدخول خاله (ديفيد) إليه ومال الكنيسة لا يدخل بيتاً نجساً، وعندما تفتحت قريحته أراد التأكد من القربان الذي يتحول عند المسيح إلى جسد الرب بعد صلاة القداسة، فأخذ الذخيرة ووضعها في بيته تحت سرير فخاف أن يحترق بيته أو ينفجر لذلك وضعها أعلى شجرة قرب بيته وقام بمراقبة الشجرة لمدة أسبوع عسى أن تحترق لكنها لم تحترق، بعدها أخذ الذخيرة فوجد أن القربان تعفنت رائحته واسود لونه فتفاجأ لما رآه وتساءل كيف يتعفن جسد الرب؟ واعتماداً على معلميه والقساوسة حاول إيجاد إجابات على ما يدور في خله لكن معلميه لم يكن لهم الإجابات التي يبحث عنها... وشيئاً فشيئاً ترك المسيحية وارتدى ثوب الإلحاد وأول شيء فكر فيه بعد انسلاخه عن المسيحية هو إنقاذ تلك الراهبة ذات الملامح العربية، بعدها ذهب كي يقدم عرض عمل على الأرملة -التي كان المعلم (جوزيف) يأتيها- كي لا ترضخ ولا تحتاج مرة أخرى إلى معلمه الذي يستغلها مقابل لقمة عيشها... وبعد مرور عشر سنوات تغيرت نظرت (ميرسو) للحياة تماماً إذ لم يعد يؤمن بوجود الإله، وكانت تشترك معه في الأفكار (سيمون) البنت التي تعرف عليها في مقر الجريدة، عاث مع (سيمون) في الأرض فساداً وكان ذلك في نظره هي الطريقة التي يعبر

بها عن حريته ويعيش حياته دون قيود وينتقم من الكنيسة على السواء...وبعد مدة انتقل (ميرسو) للعيش في باريس مع أمه وخاله ولأنه كاتب مقالات فقد ذاع صيته في باريس وحدثت له أربعة حوادث أضافت إلى فلسفته الكثير، الأولى عندما فعل شيء جديد لم يعهده من قبل بين الرجال مع زميل له في العمل اسمه (كريستيان) والثانية كانت مساعدته ل(مارك) زميله في العمل أيضا الذي قتل عشيقته(سيسيليا) بسبب سوء فهم وطلب من ميرسو أن يشهد في المحكمة أنه كان معه يوم الحادثة، والثالثة كانت مساعدته ل(إبراهام) في الانتحار لأن (ديانا) الفتاة التي تحبه هجرته، فكان الانتحار في نظر (ميرسو) هو الأنسب ل(إبراهام) كي يرتاح من عبء الحياة أما الرابعة فكانت احتياله على متسول ونهب ماله بسبب إفلاسه...بعد ذلك ذهب هو وخاله إلى الجنوب الشرقي للجزائر، ثم زار ساحلها فأعجبه ومكث هناك هو وأمه بضع أعوام، أخذ أمه إلى دار الشيخوخة بمرينغو حتى توفيت فيه، بعد موت أمه حدثت له حادثة فقد وقع في جريمة قتل عندما كان في الشاطئ مع صديقه (ماري كاردونيا) وصديقه (ريمون) وصديق صديقه (ماسو)، دخل بعدها السجن ولم ينفذه من الإعدام إلا خاله الذي هرب إلى جنوب الجزائر تحديدا إلى حاسي خليفة وقام بتغيير هويته إلى (بقي) (Baki)، استضافهم (مختار الخياط) في بيته، بقي في حاسي خليفة مدة من الزمن تعرف فيها على عادات وتقاليد هذا البلد وتعرف أيضا على الإمام (سي لمين) و(مريم) ابنة (مختار الخياط) اللذين كان لهما الفضل الكبير في تغيير حياته، فقد فتحوا ذهنه عن الدين الإسلامي الحنيف، وزرعوا في قلبه بذرة الإيمان ومما جعله يعلن إسلامه وكانت القطرة التي أفاضت الكأس هي تيهه في الصحراء أثناء رحلته مع (مختار) وبعض الرفقة، وقتها بدأ يتدبر عجائب الله وقدرته في حيوانات الصحراء، فقد غاص في كل شيء ورأى أن من المستحيل أن تكون كل هذه الأعاجيب صدفة وشيئا فشيئا اقتنع بدين الإسلام، وعاد إلى باريس بقلب جديد وفكر جديد والتقى بتلك الراهبة التي أنقذها من الكنيسة ذات زمان لكنه أخذ نصيبه من الصدمة والحزن في آن واحد عندما ذهب إلى مختار الخياط ليطلب يد ابنته مريم فأخبره أن مريم توفيت قبل سنوات وذلك لأنها أحبته بجنون.

## ثالثا: غلاف الرواية.



## رابعا: سي لمين.

هو شخصية حقيقة وظفها الروائي كرمز في روايته، وقد ذكر الروائي ذلك في تصريح له، واسمه في الواقع سي لمين غمام: ولد عام 1920م الموافق ل1338هـ بحاسي خليفة، من عائلة حافظة لكتاب الله تعلم القرآن الكريم على يد والده "الإمام محمد بن جدير"، وهو في سن العاشرة، وأصول الفقه والأحكام والمواريث. عرف عنه الطيبة والطهارة كان العلامة في كل يوم سبت وخميس يذهب راجلا من حاسي خليفة إلى "زاوية سيدي سالم" بالوادي واللقاء مع المشايخ: "المداني موساوي" و"الطاهر لعبيدي" و"أحمد لعبيدي" و"عثمان شريكبة" للمعرفة والاجتهاد، أسند له والده الإمامة على المسجد الكبير عام 1941م. وكان "سي لمين" الإمام والمدرس للقرآن الكريم والشرح وقواعد الأحكام والفقه، وافته المنية عام 1983م. (نقل عن: هاني عبد المالك، باحث في التاريخ).

## خامسا: الرموز المستعملة

1. (تح): تحقيق.
2. (تر): ترجمة.
3. (د.ت): دون تاريخ.
4. (د.ط): دون طبعة.
5. (عد): العدد.
6. (مج): المجلد.
7. (جز): جزء.
8. (ن.ص): نفس الصفحة.



فهرس  
الموضوعات

## فهرس الموضوعات:

4	شكر وعران:	4
أ	مقدمة:	أ
6	تمهيد:	6
6	أولا: مفهوم السيمائية:	6
6	1. لغة:	6
7	2. اصطلاحا:	7
9	ثانيا: بين السيمولوجيا والسيميوطيقا:	9
9	1. سيميوطيقا بورس:	9
10	2. سيميولوجيا سوسير:	10
12	خلاصة:	12
15	تمهيد:	15
15	1. الفضاء:	15
15	أولا: مفهوم الفضاء:	15
15	1. لغة:	15
16	2. اصطلاحا:	16
18	ثانيا: نظرية الفضاء في البناء الروائي:	18
18	1. عند النقاد في الغرب:	18
19	2. عند النقاد في العرب:	19
21	ثالثا: أنواع الفضاء:	21
21	1. الفضاء النصي:	21
22	2. الفضاء كمعادل للمكان أو الفضاء الجغرافي:	22
23	3. الفضاء الدلالي:	23
24	4. الفضاء كمنظور أو كروية:	24
25	5. الفضاء الروائي:	25

25	رابعاً: التوجهات السيميائية لدراسة الفضاء.	
25	أدلجة الفضاء:	1.
26	الفضاء الغريماسي:	2.
27	تقاطبية الفضاء:	3.
29	الصحراء.	II.
29	أولاً: مفهوم الصحراء.	
29	لغة:	1.
30	اصطلاحاً:	2.
32	ثانياً: الصحراء في المتخيل السردي الروائي الجزائري.	
33	الصحراء في رواية ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة:	1.
34	الصحراء في رواية تميمون لرشيد بوجدره:	2.
35	ثالثاً: أهم مكونات عالم الصحراء.	
35	عالم الإنسان:	1.
35	المعتقدات والأساطير:	أ-
36	القيم الأخلاقية:	ب-
36	العادات والتقاليد:	ج-
37	الموروث اللغوي:	د-
38	عالم النبات.	2.
39	عالم الحيوان:	3.
41	خلاصة:	
41	تمهيد:	
41	أولاً: أنواع الأفضية الصحراوية في الرواية.	
41	الفضاء النصي:	1.
41	سيميائية الغلاف:	أ-
45	سيميائية العنوان:	ب-

46	عتبة الفصول:	ج-
50	الفضاء الجغرافي:	2.
50	أماكن الإقامة:	أ-
53	أماكن الانتقال:	ب-
56	الفضاء الدلالي:	3.
59	الفضاء كمنظور أو كروية:	4.
60	ثانيا: مكونات الفضاء الصحراوي.	
60	عالم الإنسان:	1.
60	المعتقدات والأساطير:	أ-
61	القيم الأخلاقية لأهل الصحراء:	ب-
63	العادات والتقاليد:	ج-
66	الموروث اللغوي:	د-
68	عالم الحيوان:	2.
72	عالم النبات:	3.
74	ثالثا: الأبعاد العامة للصحراء.	
74	قيم إيجابية:	1.
74	الصحراء مصدر لجمالية نادرة:	أ-
75	الهدوء والسكينة والتأمل:	ب-
76	قيم سلبية:	2.
76	القفْر والقحْط والحر الشديد:	أ-
76	التيه والضياح:	ب-
77	الاتساع واللانهاية:	ج-
78	رابعا: الأبعاد الدلالية للفضاء الصحراوي.	
78	البعد السياحي:	1.
84	البعد الديني:	2.

88	..... البعد الفلسفي:	3.
93	..... البعد الصوفي:	4.
98	..... فضاء التقاطبات الثنائية.	خامسا:
98	..... الصحراء/البادية(حاسي خليفة):	1.
100	..... (المسجد-الزاوية) / (الساحة-السوق):	2.
102	..... علاقة الفضاء الصحراوي بالأبنية الأخرى.	سادسا:
102	..... علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصية:	1.
106	..... علاقة الفضاء الصحراوي بالزمان:	2.
109	.....	خلاصة:
111	.....	خاتمة:
114	.....	قائمة المصادر والمراجع:
114	.....	أولا: القرآن الكريم.
114	.....	ثانيا: المعاجم والقواميس.
115	.....	ثالثا: الكتب.
117	.....	رابعا: الأطروحات والرسائل الجامعية.
120	.....	خامسا: المجلات والمقالات والمحاضرات.
120	.....	سادسا: المواقع الإلكترونية.
122	.....	ملاحق:
122	.....	أولا: نبذة عن الكاتب.
122	.....	ثانيا: ملخص الرواية.
125	.....	ثالثا: غلاف الرواية.
125	.....	رابعا: سي لمين.
126	.....	خامسا: الرموز المستعملة.
128	.....	فهرس الموضوعات:

## الملخص:

تناولت الرسالة موضوع "سيمائية الفضاء الصحراوي في رواية الملحد لعبد الرشيد هميسي"، والتي من خلالها استطاع الكاتب التعريف بالصحراء الجزائرية، منطقة حاسي خليفة بوادي سوف تحديداً، التي زرعت في القارئ رغبة التوغل والرحلة في الرواية، فاستطاعت الكشف عن الدلالات السلبية والإيجابية للصحراء واستكشاف خباياها، فهي تعد أرض الجفاف والحرمان، لكن في الرواية عكست ذلك فكانت مكان للهدوء والسكينة، ومكاناً لاسترجاع الذات المفقودة ومكاناً للتحول، التحول إلى فلسفة الوجود، إلى فسحة الإيمان إلى مكان يتعرف فيه البطل إلى الله بعد أن كان لا يؤمن به. وكانت هذه الدراسة مكونة من مدخل وفصلين، فكان المدخل معنوناً بـ "السيمائية"، تطرقنا فيه إلى مفهوم السيمائية، وسميوطيقا بورس وسميولوجيا دي سوسير"، والفصل الأول جاء معنوناً بـ "الفضاء والصحراء"، تطرقنا فيه إلى مفهوم الفضاء وأنواعه والتوجهات السيمائية لدراسته" وأيضاً إلى "مفهوم الصحراء، والصحراء في المتخيل السردي الروائي الجزائري، وأيضاً إلى أهم مكونات عالم الصحراء"، أما الفصل الثاني فعنوانه بـ "الأبعاد السيمائية للفضاء الصحراوي"، ركزنا فيه على: "أنواع الأفضية الصحراوية في الرواية، ومكونات الفضاء الصحراوي، والأبعاد العامة للصحراء، وكذا الأبعاد الدلالية للفضاء الصحراوي، وأيضاً فضاء التقاطبات الثنائية، وكأخر عنصر تطرقنا له علاقة الفضاء الصحراوي بالأبنية الأخرى (الشخصية، الزمن)"، وكان ذلك كله وفق المنهج السيميائي، وفي آخر المطاف أنهينا عملنا بخاتمة رصدت أهم النتائج التي توصلنا إليها.

الكلمات المفتاحية: السيمائية، الفضاء، الصحراء، الملحد، حاسي خليفة.

## Summary:

The thesis dealt with the subject of the semiotics of the desert space in the atheist novel by Abd al-Rashid Hamisi, through which the writer was able to introduce the Algerian desert in the Hassi Khalifa region in Wadi Souf, which planted in the reader the desire to penetrate and journey in the novel, so it was able to reveal the negative and positive connotations of the desert and explore its mysteries, as it is considered a land Drought and deprivation, but in the novel it reflected that, so it was a place of calm and serenity, a place to recover the lost self and a place to transform the transformation to the philosophy of existence, to the space of faith to a place where the hero gets to know God after he did not believe in him. This study consisted of an introduction and two chapters. The introduction was entitled "Semiotics", in which we touched on "The Concept of Semiotics, the Semiotics of Bourse and the Semiology of De Saussure".

And also to "the concept of the desert, and the desert in the Algerian novelist's narrative imagination, and also to the most important components of the desert world." As for the second chapter, we titled it "the semiotic dimensions of the desert space," in which we focused on: the types of desert spaces in the novel, the components of the desert judiciary and the general dimensions of the desert, as well as The semantic dimensions of the desert judiciary, as well as the space of the second polarities, and as the last element we touched on the relationship of the desert judiciary with other buildings (personal time), and all of this was according to the semiotic approach, and in the end we finished

We worked with a conclusion that monitored the most important results that we reached.

**Keywords:** semiotics, judiciary, desert, atheist, Hassi Khalifa.